prix littéraires
premios literarios
naji naaman's
literary prizes
2011

part three of three

FCG fondation naji naaman
pour la culture gratuite

جوائز

ناجي نعمان

الأدبيَّة

٢٠١١

مؤسَّسة ناجي نعمان للثـَّقافة بالمَجَّان

© ألحقوق محفوظة
الطَّبعة الأولى، آب ٢٠١١، دار نعمان للثَّقافة.

يَنْدَرِجُ هذا المؤلَّفُ الجَماعيُّ في إطار سلسلة "الثَّـقافة بالمَجَّان" الَّتي أنشأَها ناجي نعمان عامَ ١٩٩١، وما زال يُشرِفُ عليها. تُستَقبَلُ تعليقاتُ وسائل الإعلام والأفكارُ الشَّخصيَّة على العنوانَين، البريديّ والإلكترونيّ، الآتِي ذكرُهما؛ كما يُقرَأُ الكتابُ مجَّانًا على مَوقِع المؤسَّسة أدناه:

مؤسَّسة ناجي نعمان للثَّـقافة بالمَجَّان

جمعيَّة غير حكوميَّة لا تبغي الرِّبح

(العِلم والخَبَر الرَّقم ٤٥٤ بتاريخ التَّاسع من آذار ٢٠١١)

ص.ب. ٥٦٧ - جونيه (لبنان)

فاكس وهاتف: ٩٣٥٠٩٦ - ٩ - ٠٠٩٦١

Web site: www.najinaaman.org

E-mail: info@najinaaman.org

الجوائز

أُطلِقَت جوائزُ ناجي نعمان الأدبيَّة عام ٢٠٠٢، وهي تهدفُ إلى تشجيع نشر الأعمال الأدبيَّة على نطاقٍ عالمي، وعلى أساس عَتق هذه الأعمال من قيود الشَّكل والمضمون، والارتقاء بها فكرًا وأسلوبًا، وتوجيهها لما فيه خير البشريَّة ورفع مستوى أنسَنَتها.

والجوائزُ، لجهة الشَّكل، مُشَرَّعةٌ أمام أرباب القلم في جميع المجالات الأدبيَّة من فكرٍ وشعرٍ وقصَّة وغيرها، ودونما اعتبارٍ لسنّ صاحب القلم أو جنسيَّته أو مركزه الأدبيّ أو اللُّغة التي يكتبُ بها، أكانت عربيَّة فُصحى، أم عاميَّة، أم أجنبيَّة. والجوائزُ، لجهة المضمون، مُخَصَّصَةٌ إلى مَن يتخطَّى ترداد ما هو مَنقولٌ أصلاً إلى ما هو مُستَقبليٌّ فكرةً وصياغةً، وإلى مَن يتحدَّى القيودَ، أيًّا كانت، من أجل إنسانٍ أفضلَ ومحيطٍ أصَحّ. كما أنّ الجوائز تتلمَّسُ الارتقاءَ بالأدب، ليس فقط باعتماد أساليب مُستَحدَثَة، بل، أيضًا، بالتَّفتيش عن الأفكار الجديدة، وتوثيقها كتابةً، في سعي دؤوبٍ لما فيه هناء الإنسانيَّة.

هذا، والجوائزُ غير محدَّدَة العدد، وتشملُ نشرَ الأعمال التي تلقى الاستِحسان والاستِحقاق، كلِّيًّا أم جُزئيًّا، في كتاب الجوائز السَّنويّ الَّذي يصدرُ من ضمن سلسلة "الثقافة بالمجَّان" الَّتي أنشأها الأستاذ نعمان عام ١٩٩١، وما زالَ يُشرفُ عليها. مع الإشارة إلى أنَّ الأعمال المقدَّمَة لا تُعاد، وأنّ ما يُنشَرُ منها تسقطُ حقوقُه حُكمًا لمصلحة الدَّار.

تُقدَّمُ المخطوطاتُ في نسخةٍ واحدة، مُنَضَّدَة، في مهلة تمتدُّ حتَّى آخر شهر كانون الثَّاني (يناير) من كلِّ عام، وتُرفقُ بها البيانات الآتِيَة: سيرة حياة المؤلِّف مع صورةٍ فنِّيَّةٍ له (بالأبيض والأسود إذا أمكن). وفي حال كانتِ المخطوطةُ بلغةٍ غير العربيَّة أو الفرنسيَّة أو الإنكليزيَّة أو الإسبانيَّة، تُرفقُ بها ترجمتُها (أو مُلَخَّصٌ عنها من صفحتَين على الأكثر) بإحدى تلك اللُّغات. وتُستقبلُ المخطوطاتُ بالبريد العادي أو بالبريد الإلكتروني. ويُشترطُ فيها ألاَّ يزيدَ عددُ صفحاتها على الأربعين، وألاَّ يكونَ سبقَ لها ونُشرت أو حازت جوائز. وأمَّا الإعلانُ عن الجوائز فيتمُّ في مهلةٍ لا تتجاوز آخر أيَّار (مايو) من كلِّ عام، على أن يتمَّ توزيعُها ابتداءً من التاريخ الأخير، وكذلك البدءُ بنَشر المخطوطات المُستَحِقَّة (جُزئيًّا أم بالكامل) في كتاب الجوائز السَّنويّ. هذا، ويحصلُ حائِزو الجوائز على لقب عضويَّة "دار نعمان للثقافة" الفخريَّة.

قِطافُ المَوسِم التـّاسع: ٢٠١٠ - ٢٠١١.
عدد المُرَشَّحين والمخطوطات: ١٣٢٢.
أَلدُّوَل المُشارِكَة: ٥٣ دولة، هي: الأردن - إسبانيا - أستراليا - أسوج - أُكرانيا - ألبانيا - ألمانيا - الإمارات العربيَّة المتَّحدة - إيطاليا - إيران - البارَغْوِي - البحرَين - بلجيكا - بلغاريا - بولونيا - تركيا - تونس - الجزائر - جزيرة موريس - الدِّنمَرْك - روسيا - رومانيا - سِنغافورَة - السِّنِغال - السُّودان - سوريا - صربيا - الصِّين - العراق - العربيَّة السّعوديَّة - فرنسا - فلسطين - قطر - الكامِرون - كَشمير - كندا - الكويت - لبنان - ليبيا - ليتوانيا - مصر - المغرب - مَقدونيا - المِكسيك - المملكة المتَّحدة - النَّروج - نيكاراغوا - هُلَّندا - هنغاريا - الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة - اليابان - اليمن - اليونان.
كتابُ الجوائز في ٢٩ لغةً ولهجة، هي : العربيَّة (الفصحى والمَحكيَّة في أكثر من لهجة)، الفرنسيَّة، الإنكليزيَّة، الإسبانيَّة، الرُّومانيَّة، التُّركيَّة، البلغاريَّة، الأسوجيَّة، الإيطاليَّة، الصِّربيَّة، الألبانيَّة، الرُّوسيَّة، الصِّينيَّة، النَّروجيَّة، الأرومانيَّة، الغاليسيَّة، الألمانيَّة، اليونانيَّة، اليابانيَّة، المَقدونيَّة، المايا، البولونيَّة، الأُكرانيَّة.

حائِزو الجوائز والأعمالُ الفائِزَة

٢٠١١

جوائزُ التـَّشجيع:

سنا سبَيتي، من لبنان (*خدعَتني*، بالعربيَّة، ص ٣٧) – **سيلين دواليبي**، من لبنان (*پروڤينَس*، بالفرنسيَّة، ص ١٥٦) – **هايل المذابي**، من اليمن (*قريةُ الأمل*، بالعربيَّة، ص ٨٧).

جوائزُ الاستِحقاق:

أثير الهاشميّ، من العراق (*الأدبُ العراقيُّ المسرحيُّ المعاصرُ بين الشِّعر والنَّثر*، بالعربيَّة، ص ١٥) – **إيمان الشَّافعيّ**، من مصر (*ليلى والنَّملة*، بالعربيَّة، ص ١٦) – **پول-إرسيليان روشكا**، من رومانيا (*غَنْ دِه ألبيُنس*، بالرُّومانيَّة والإنكليزيَّة، ص ١١٤) – **توفيق بوشري**، من المغرب (*صحوةُ الحمار*، بالعربيَّة، ص ١٩) – **جوزيان ميكايل كواغو شيمو**، من الكاميرون (*فَمٌ قُـرِئت*، بالفرنسيَّة، ص ١٣٠) – **رائد غنيم**، من فِلسطين (*مجنونٌ دونَما ليلى...*، بالعربيَّة، ص ٣١) – **صابر الحباشة**، من تونس (*النَّحو والمنطق: تنافرٌ أم تظافر؟*، بالعربيَّة، ص ٣٨) – **عبد السَّلام الجعماطيّ**، من المغرب (*جوانبُ من التُّراث البحريِّ في الغرب الإسلاميّ*، بالعربيَّة، ص ٥٩) – **يونس لَشهَب**، من المغرب (*مستوياتُ القراءة والتَّأويل في رواية "اللِّصّ والكلاب" لنجيب محفوظ*، بالعربيَّة، ص ٩١).

جوائزُ الإبداع:

آمال عوَّاد رضوان، من فِلسطين (*أحنُّ إلى حفيف صوتك*، بالعربيَّة، ص ١١) – **إيناكْسْيو غولْداراسينا**، من إسـپـانيا (*كولُرْ ألْما*، بالإسـپـانيَّة، ص ١٣٣) – **حسن النـّوّاب**، من العراق (*قصائدُ بثياب الملائكة*، بالعربيَّة، ص

٢١) – **حميد الهجّام**، من المغرب (*١٣ لحظةً خلف النّافذة*، بالعربيَّة، ص ٢٤) – **خالد خشان**، من العراق (*الطَّائرُ الوحشيّ*، بالعربيَّة، ص ٢٧) – **خديجة موادي**، من المغرب (*في المقهى*، بالعربيَّة، ص ٢٩) – **خليد خريبش**، من المغرب (*وبلبلٍ ما أجملَه!*، بالعربيَّة، ص ٣٠) – **رَلدَه كرم**، من لبنان (*رُنِسَّنس*، بالفرنسيَّة، ص ١٠٩) – **طوني ريتْشي**، من فرنسا (*أُلمْبُر دُنَ ارْغَنْيه*، بالفرنسيَّة، ص ١٠٨) – **عبد السَّميع بنصابر**، من المغرب (*المِعطفُ والزُّجاجة*، بالعربيَّة، ص ٦٠) – **عبد الله التّواتيّ**، من الجزائر (*ستُّون عامًا*، بالعربيَّة، ص ٦٣) – **عزَّت أبو الرَّبّ**، من فِلِسطين (*أستاذُنا أبو جهاد*، بالعربيَّة، ص ٦٥) – **عمار بوخروفة**، من الجزائر (*لِه أُنْـقـاهِسُّر دِه رِڤْ*، بالفرنسيَّة، ص ١٨٣) – **غوران مْراكِش**، من رومانيا (*روماُل سا ناشوت بِـوت*، بالرُّومانيَّة والفرنسيَّة والعربيَّة، ص ١٣٤) – **فْلورُنْتينا سْتانْسيو**، من رومانيا (*كوبيلارْيه*، بالرُّومانيَّة والفرنسيَّة، ص ١٣٩) – **قاسم لوباي**، من المغرب (*جُنِسّ بِـردو*، بالفرنسيَّة، ١٢٩) – **كَرْمِن كُرْتِز**، من رومانيا (*فِنِيكْسْ*، بالرُّومانيَّة والإنكليزيَّة، ص ١٧٧) – **لَمى ناصر**، من لبنان (*لِسْـبِـوار دُنَ قْـلْس*، بالفرنسيَّة، ص ١٢٨) – **مُحسن الوكيليّ**، من المغرب (*حيُّ العابرين*، بالعربيَّة، ص ٦٧) – **محمَّد أخرس**، من سوريا (*عَزفٌ مُنفَرِد*، بالعربيَّة، ص ٧٠) – **محمَّد عبَّاس علي**، من مِصر (*الآخَر*، بالعربيَّة، ص ٧٢) – **مصطفى النَّفيسيّ**، من المغرب (*التَّجوُّلُ في أزقَّة الهاوية*، بالعربيَّة، ص ٧٧) – **مهنَّد التَّكريتيّ**، من العراق (*أنت...!*، بالعربيَّة، ص ٨٣) – **ناجي يونس**، من لبنان (*رائحةُ التُّفَّاح*، بالعربيَّة، ص ٨٤) – **نور سوجي–بْهات**، من جزيرة موريس (*إيمْن أَلا فَمّ*، بالفرنسيَّة، ص ١١٥) – **نيسولينا أوپـرْيا**، من رومانيا (*پيراميدا*، بالرُّومانيَّة والفرنسيَّة والإنكليزيَّة، ص ١١٨) – **يوسف الأزرق**، من المغرب (*رقصاتٌ بأحذيةٍ ضيِّقة*، بالعربيَّة، ص ٨٩).

جوائزُ التَّكريم (عن الأعمال الكاملة):

أحمد حفضي، من المغرب (*إِه پـرْتَنْ ايْل زُنْ تُرْنِه لا پـاج*، بالفرنسيَّة، ص ١٩٠) – **أَرلِتّ أُمْس**، من فرنسا (*أُلومُرْ دِه رِڤـرْبِر*، بالفرنسيَّة ، ص ١٧٩) – **أَلكْسَندَر بُلجاك**، من صِربيا (*أفورِسْم*، بالصِّربيَّة والإنكليزيَّة والعربيَّة، ص ١٨٧) – **أَلكْسَندَر كوتريتْش**، من صِربيا (*أفورِسْم*، بالصِّربيَّة والإسـپـانيَّة والألمانيَّة والإنكليزيَّة والعربيَّة، ص ١٨٦) – **أَنجِلا باسيو**، من رومانيا (*هَيْكو*، بالرُّومانيَّة والفرنسيَّة والإنكليزيَّة ، ص ١٨٠) – **جيلْبِر ماركِس**، من فرنسا (*مَرْكز*، بالفرنسيَّة، ص ١٣٥) – **دُني–مارْتن شابو**، من كندا (*أُرِّيتْل كُشْمار دُه فْلورَنْس مُنْدو*، بالفرنسيَّة، ص ١٥٥) – **دْيابْلو (زانْغ زي)**، من الصِّين (*پـرْتْز لُنْغودْجْ*، بالصِّينيَّة والإنكليزيَّة والعربيَّة، ص ١٤٨) – **سميرة القادريّ**، من المغرب (*مُقتَطَفٌ من دراسةٍ علميَّة*، بالعربيَّة، ص ٣٤) – **صباح زوَيْن**، من لبنان (*مُقتَطَفات*، بالعربيَّة، ص ٤٨) – **فابريزيو كارامانيا**، من إيطاليا (*سِلِزْيونِه*، بالإيطاليَّة والفرنسيَّة والعربيَّة، ص ١٤٦) – **كارولينا إيليكا**، من رومانيا (*پـُومِ (دوپـْلو) دِه ڤراغُسْتِه*، بالرُّومانيَّة والألبانيَّة والعربيَّة والأرومانيَّة والصِّينيَّة والإنكليزيَّة والفرنسيَّة والغاليسيَّة والألمانيَّة واليونانيَّة والإيطاليَّة واليابانيَّة والمَقدونيَّة والمايا والنَّروجيَّة والرُّوسيَّة والصِّربيَّة والإسـپـانيَّة والتُّركيَّة والأسوجيَّة والأُكرانيَّة، ص ١٧٥) – **ميزيسْلاڤ كوزْلوڤـْسْكي**، من پـولونيا (*أفوريزْمي*، بالـپـولونيَّة والفرنسيَّة والعربيَّة، ص ١٢١) – **ميسوت سينول**، من تركيا (*أشْك أُلمز*، بالتُّركيَّة والعربيَّة والبلغاريَّة والإنكليزيَّة والرُّومانيَّة، ص ١٢٤) – **نيكول باريير**، من فرنسا (*لا نُنتِلّ نُو تَنْ*، بالفرنسيَّة، ص ١٢٠) – **يوان رادو ڤـاكارِشْكو**، من رومانيا (*شاي*، بالرُّومانيَّة والفرنسيَّة والعربيَّة، ص ١٣٢).

يُقالُ للمُحسِن أحسَنت!

دارَ نَعمانْ.. يا قُبلةَ المُبدِعين.. يا وهجَ البيانْ.. يا حُبَّ الحُبّ.. يا حُبَّ إنسانٍ لإنسانْ...
إنِّي الفَخورُ بك مدى العمر.. على مَرِّ الزَّمانْ...
مَوطنُ الحرف أنت.. فضاءُ إبداعٍ.. سلامٌ عليك.. على السَّيِّد الرَّاعي..
ما أبدعَ المُبدعون.. ما خطَّ يراعي..
يا مَوطنَ الحرف.. ومنارةَ الأجيالِ.. كم عانقَ الأفراحَ مُبدع.. وعانقته.. في أجوائك.. في ألف مجالِ...
مَوطنُ الحرفِ أنت.. دروبُ السَّلامِ.. شموخُ الحُبِّ أنت.. وحُبُّ الأنامِ..
تقبَّلي من عمق القلب.. يا فرحةَ المُبدعين.. سلامي
شكرًا وشكرًا وشكرا.. يا دارَ نَعمانْ.. أحيَيتِ نفوسا.. سقَيتِ قلوبا.. أطرَبتِ إنسانْ...
أسعَدتِ مُبدعا.. أذَعتِ إبداعا.. في كلِّ مكانْ... شكرًا وشكرًا وشكرا.. بكلِّ الحُبّ.. من عمق الجنانْ

***

ألا يا دارَ نَعمانَ مَعذرة.. إنْ أنا.. قصَّرتُ في وصفك.. عجزتُ عن الكلامِ...
عضويَّةٌ فخريَّة.. زادَت هيامي.. فوزٌ مَنَحتِه.. أعلى.. من المقامِ...
منَحتِ الحُبّ.. فتهاطلَت خيراتُه.. تهاطُلَ الأمطارِ..
سُرَّ الحبيب.. سُرَّ البعيدُ بأخبارِ... تباهى المُبدعون في كلِّ بقعة.. قطفَ الجميعُ أشهى الثِّمارِ...
هلَّلَ المُبدعون.. تنادَوا.. بدارٍ هناكْ... في بلد.. تعشقُه أيُّها الشَّاعر.. منذ صباكْ...
فَرَدِّدْ وغَنِّ.. كما كنتَ تُغنِّي: أهواك يا لبنان.. أهواكْ.. وآملُ قبلَ انقضاء العمر.. أن أزورَك يا سيِّدتي.. أن أراكْ...
ألا يا دار.. رعاكِ الرَّبُّ كما.. رعى العذراء.. في سالِف الأزمانِ...
وهيَّأَ الحرفَ يشدو.. كعصفور.. في شهر نيسانِ.. لتطربَ الدُّنيا.. في خلسة الأحزانِ...
يا فخرَ لبنان.. يا دارَ نَعمان.. كيف السَّبيلُ إلى الوصالِ...؟ وأنا المُتَيَّمُ.. ساءَت من الأشواق أحوالي...
ألا نظرة تُشفي.. حَسبُها العمر.. من الإفضالِ...؟؟
معذرة.. والعذرُ هاهنا مَقبولُ.. إنْ أنا.. مدحتُكِ يا دار.. وعجزتُ في ما أقولُ..
مدحُك يا دار.. ليس مدحَ سيف دولة.. ولا ملكِ الملوك.. ولا بخاطرٍ يا سيِّدتي.. يجولُ...

عبدالله التّواتي – الجزائر

آمال عوّاد رضوان
أثير الهاشميّ
إيمان الشّافعيّ
توفيق بوشري
حسن النـّوّاب
حميد الهجّام
خالد خشان
خديجة موادي
خليد خريبش
رائد غنيم
سميرة القادريّ
سنا سبيتي
صابر الحباشة
صباح زوَيْن
عبد السّلام الجعماطيّ
عبد السّميع بنصابر
عبد الله التـّواتيّ
عزّت أبو الرّبّ
محسن الوكيليّ
محمّد أخرس
محمّد عبّاس علي
مصطفى النـّفيسيّ
مهنـّد التـّكريتيّ
ناجي يونس
هايل المذابيّ
يوسف الأزرق
يونس لَشهَب

Amal ʻAwwad Radhwan **آمال عوَّاد رضوان**

Palestinian poetess, with published books and cultural activities.
Poétesse palestinienne. À son actif s'inscrivent des livres publiés et des activités culturelles.
شاعِرةٌ فلسطينيَّة. في رصيدها كُتُبٌ مَنشورة، إلى أنشِطَةٍ ثقافيَّة.

أحِنُّ إلى حفيف صوتِك

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

Texts in Arabic (by the author) and French (by Farah Souames).

أَحِنُّ إِلى حَفيفِ صَوْتِكَ
يَنْسابُ
نَسِيمًا رَطبًا في مَعابِرِ رُوحِي
تَجمَعُني قُزَحاتهُ إضمَاماتٍ فوَّاحَةً
تَزدانُ بِها مَنابرُ مَسامِعي
نَبَراتُ حُروفِكَ تُلاغفُ جَوانِحي
أَحَاسِيسُكَ تُسَوِّرني
كَيْفَ أهْرُبُ
وَمسَافاتُ الوَلَهِ تَزدادُ نَقشًا
في مَسالِكِ قلبي؟

***

أَشتاقُكَ...
أيُّها المَجنونُ
إِلى ما لا نِهايةٍ مِن جُنونِك
أَشتاقُك...
وما مِن أحَدٍ يَراكَ شَفِيفًا كَمايَ

كم أُدمِنُها دِنانُ حُزنِكَ
أنادِمُها بِكَلماتٍ فيها بَعْثي المنتَظَر
***
لِمَ يَتَأَوَّهُ حَبِيبي
والنَّارُ تَتَآكَلُ في دِمائِهِ ولا تَأْكُلُهُ؟
أما كانَ الأَوْلى بِنيرانِهِ أن تَتَأَوّهَ؟
***
إِفتَحْ لي قلبَكَ الذَّهبيَّ حَبِيبَ قَلبي
واسْكُبْ أَحشاءَهُ على راحَتيَّ...
بالأمْسِ؛
سَمِعْتُ وُعُولَك تُناغِي ظِباءَ حُزنِك
آهٍ يا رَحمَ رُوحٍ
تَتَفَتَّقُ وِلادةَ وَجدٍ في رُوحِي:
أَنُولَدُ فِينا؟
***
آثارُ قلبِكَ دَعني أُرَمِّمْها...
أُجَدِّدْ مَاءَ حَدائقَها...
أَجعَلْها وُرودًا
نَتراقصُ بَينَها شَغَفًا
وتَسبَحُ قَناديلي في جَداولِها الشَّهيَّة
***
هُو قلبُكَ لي؛
بِمَائِهِ وطَمْيِـــهِ...
بِضِفَافِهِ وأَشجَارِهِ...
بِعَصافيرِهِ ونَحْلِهِ...
أُريدُهُ بِعالَمِهِ
فَكُلُّكَ

وَكُلُّ كُلِّكَ يَشوقُني
ولا أُريدُ الشَّوقَ يُؤطِّرُني
***
هُوَ صدرُكَ بَيْدَري
أدْرُسُ عَلَيْهِ سَنابلَ حَنيني
لن أَخشَى اجْتياحَ فَيَضانِكَ
سَتُسْكِنُك قُبْلَةٌ تُخَثِّرُ أَمواجَكَ
لَنْ أخشَى خَطَرَ السِّباحَةِ فيكَ
وانْجِرافي بِشَلَّالاتِكَ النَّاريَّة
***
أَأَسْكُبُني رَعشاتٍ تَصهُركَ...
تُغلِّفُكَ بي؟!
أَتكونَ دفينَ انصِهَاري
حَبيسَ أَنْوِيَتي؟!
أَتَقْبَلُ بِكَيْنونَةٍ جَديدةٍ
لا تُحَرِّرُها إلاَّ بَراكيني؟!
يَا... مَنْ... أَشْتاقُكَ
دَعْني أرْوِ بِأمْطارِ عَيني
بَراريَ عَطشِكَ
أُلَمْلِمُني لكَ ظِلالاً
وأَشتَقْكَ أبدًا.

NOSTALGIE DES MURMURES DE TA VOIX

J’ai la nostalgie des murmures de ta voix
S’écoulant
Telle une brise fraîche dans les passages de mon esprit
Me réunissant tel un bouquet au parfum enivrant
Ornant les portées de ma voix
L’accent de tes lettres envoûte mon âme
Ta sensibilité m’emprisonne

Où fuir?
Et les distances de l'empressement ne cessent de se sculpter
Aux chemins de mon cœur
***
J'ai la nostalgie de ta folie
Jusqu'à son infini
Nul ne voit ta transparence
Telle qu'elle défile en moi
Tes chantonnements de tristesse sont mon accoutumance
Mêlés au mot de ma renaissance attendue
***
D'où viennent tes gémissements?
Et le feu use ton sang sans t'user
***
Ouvre-moi ton cœur mon bien-aimé
Et verse ses tripes sur mes paumes
Hier j'entendis
Tes bouquetins chanter les gazelles de ta tristesse
Oh abri de l'esprit
Une naissance de tristesse se déchire dans mon esprit
Naît-elle en nous?
***
Laisse-moi réparer les fissures de ton cœur
Étendre l'eau de ses jardins
Les replanter de roses
Où nous danserions passionnément
Où baignerons mes lampes dans ses ruisseaux exquis
***
Ton cœur m'appartient
Avec son eau, son alluvion
Ses rives, ses arbres
Ses oiseaux, son nectar
Je le veux avec tout son monde
Je ne veux que ta nostalgie me flatte
***
Ton commencement est mon aire
J'y battrai le blé de ma nostalgie
Sans craindre ton déluge
Une étreinte clamera tes vagues
Je ne craindrai me lancer dans ton danger
Et glisser dans tes cascades en feu
***
Verserai-je des frissons pour te fondre
Te couvrir en moi
Seras-tu caché dans mes fontes
Prisonnier de mes noyaux?
Accepteras-tu une nouvelle existence

Que seuls mes volcans pourront libérer?
Laisse mes larmes
Raviver tes collines
Je te serai nostalgique à jamais

Athir Al-Hashimi **أثير الهاشميّ**

Iraqi poet, journalist and crtitic, born in 1981 (Diwaniyya – Iraq). With literary works and cultural activities.

Poète, journaliste et critique irakien, né en 1981 à Diwaniyya (Irak). A son actif s'inscrivent des écrits littéraires et des activités culturelles.

شاعرٌ وصحافيٌّ وناقِدٌ عراقيّ، من مواليد الدِّيوانيَّة (العراق) عامَ ١٩٨١. في رصيده كتاباتٌ مَنشورَة، إلـــى أنشِـــطَةٍ ثقافيَّة.

الأدبُ العراقيُّ المَسرحيُّ المُعاصِر بين الشِّعر والنَّثر

(extracts - *extraits* - extractos - مُقتَطَفات)

نشأةُ الأدب المَسرحيِّ في العراق

أوَّلاً: المَسرحيَّةُ الشِّعريَّة

تبدأ المسرحيَّة الشِّعريَّة في العراق عامَ ١٩٣٣ حين نشرَ السَّيِّد محمَّد الرِّضا شرف الدِّين مسرحيَّةَ خالد الشَّوَّاف (الحسين). غير أنَّ البداية الفنِّيَّة الحقيقيَّة للمسرح الشِّعريِّ تتمثَّلُ بصدور (الأسوار) عامَ ١٩٥٦، لأنَّنا نلمسُ فيها وفي مسرحيَّات خالد الشَّوَّاف الأخرى تميُّزًا وتفرُّدًا عن الأعمال الشِّعريَّة الَّتي سبقَتها، ومنها مسرحيَّة (في سبيل الوطن) للأستاذ الظَّريفي، وقد طُبعت في آذار عامَ ١٩٤٨ في بغداد، وقد وصف المؤلِّف مسرحيَّتَه بأنَّها (تمثيليَّة شعريَّة مدرسيَّة في فصلٍ واحد).

وهذه المسرحيَّات الشِّعريَّة من النَّوع المُبَسَّط الَّذي قُصِدَت به خدمةُ القرَّاء النَّاشئين، ومنها أيضًا (روايات من تاريخ العرب) للسَّيِّد عبد السَّتَّار القرغولي، وقد ظهرت هذه المجموعة في بغداد عامَ ١٩٤٨.

وهكذا، نشأت المسرحيَّة الشِّعريَّة في العراق، وتطوَّرَت، بعد تأثُّرها بالأدب المسرحيِّ العربيِّ والعالميّ، إلى أن وصلتِ اليومَ إلى مراحلَ متقدِّمة، تميَّزت بالموضوعيَّة والفنِّيَّة.

ثانيًا: المَسرحيَّةُ النَّثريَّة

وأمَّا المسرحيَّة النَّثريَّة، فقد نشأت أوَّلُ فرقة مسرحيَّة في بغداد عامَ ١٩١٩ على يد نوري فتاح، بالاشتراك مع مجموعةٍ من الأصدقاء؛ وفي عام ١٩٢٠ قدَّمَت هذه الفرقة بواكيرَ إنتاجها المسرحيِّ وهو (النّعمان بن المُنذر) تأليف الشَّاعر محمَّد مهدي البصير.

وقد تطوَّر النَّثرُ المسرحيُّ في ما بعد تطوُّرًا مَلحوظًا، وتميَّز باتِّجاهات عدَّة، منها ما ارتبطَ بالعامل السِّياسيّ، وعاملٍ آخرَ اجتماعيّ، وعاملٍ تطلُّعيّ، وما شابَه، ليرتكزَ النَّثرُ المسرحيّ، في الأخير، على محتويات تراجيديَّة في اللُّغة العربيَّة الفصحى تنصبُّ في الاتِّجاه الكوميديِّ، وأخرى كوميديَّة تنصبُّ في الاتِّجاه الشَّعبيِّ أكثر ممَّا تتحرَّكُ في إطار التّراجيديا.

Iman Ash-Shafi'i **إيمان الشَّافعيّ**

Egyptian short-story writer and freelance journalist. With several printed works, prizes and cultural activities.

Nouvelliste et journaliste libre Égyptienne. À son actif s'inscrivent des écrits publiés, des prix et des activités culturelles.

كاتِبَةٌ وصِحافيَّةٌ حرَّةٌ مِصريَّة. لها أكثرُ من عملٍ مَنشور، وقد نالَت العديدَ من الجوائز، وهي ناشِطةٌ ثقافيَّةٌ في أكثرَ من مجال.

ليلى والنَّملة

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

رأيتُها، بين الغفوة واليقظة، تسيرُ على جسدي، تتغلغلُ في أعضائي، تسري في خلاياي، ثمَّ تُنهي رِحلتَها بلدغةٍ في موضع قلبي.

حبيبي، لا عليكَ، إنَّها مجرَّدُ نملة، أحكمَت الغطاء على جسدي، وانصرفت كما اعتادت كلَّ يوم.

أستيقظُ صباحًا لأفتِّشَ عنها في كلِّ مكان؛ لا أثرَ لها، كلُّ شيءٍ يبدو مرتَّبًا أكثرَ ممَّا يجب، لا أثرَ لقطع ملابسنا المتناثرة في الحجرة وفي الممرِّ المؤدِّي إليها عبر الصَّالة.
المطبخ، نظيفٌ ومرتَّب. أين فناجين القهوة الفارغة، وبقايا قطرات القهوة المتساقطة على الموقد بين أولى مكالمتها؛ سآتي بعد ساعة. ولحظةَ سماعي صوت إدارتها مفتاحَ الباب.
أحدِّقُ في باب الشّقَّة، تلك الَّتي كلَّفتني ضعفَ مرتَّبي للحفاظ على إيجارها، وحرمَتني من أهلي الَّذين أغضبَهم عملي فيما ما زلتُ أدرسُ في الجامعة الَّتي لم أتخرَّج منها إلى الآن. لكنَّها ليلى! وهم لا يعرفون ذلك.

سربٌ من النَّمل يتسلَّقُ الحائطَ حاملاً حبَّاتٍ من السُّكَّر سقطَت على أرضيَّة المطبخ. هكذا دائمًا كان يسقطُ السُّكَّرُ من ليلى بينما تتناولُ حبَّاتِه قبل خروجها صباحًا.
تحملُ النَّملةُ أضعافَ وزنها سُكَّرًا، وتهرولُ به إلى حيث تستكين. أحاولُ اعتراضَ طريقها بالمضرب، تراوغُني مدافعةً عن ثقلها، تتسلَّلُ إلى قدمي، أقاومُ حركتَها، ألاحقُها بيدي؛ محاولاتي للإمساك بها تفشل، تقتربُ من أكثر المناطق حساسيةً بجسدي، ها قد مسكتُها، سأضعها بين يدَيّ لأُنهيَ محاولاتِها اقتحامي، تغافلُني وتمضي، أتركُها يائسًا وأرحلُ بعيدًا عنها.
حاولتُ مع ليلى، مرارًا، التخلص من ثقل حبنا الجاثم فوق ظهورنا لكنَّها كانت دائمة القول: على الرَّغم من ثقل حملك فوق ظهري، إلاَّ أنَّني أشعرُ أنَّني مرغمَةٌ أن أحملَه حتَّى النِّهاية.
لكنَّك مضطرَّةٌ لحَملي حتَّى سفح الجبل.
أعلم، كما أعلمُ أنَّك يقيني، ومن دونك أحيا كظلّ.
أيقظني صوت غليان القهوة من استرسال مزيدٍ من الصُّور، فارَت القهوة، شربتُها على عجل.
مارست عملي بفارغ صبر، لا طعمَ لشيء من دونها، هاتفُها خارجَ نطاق الخدمة، أكداسٌ من أوراق العمل توضع على مكتبي يوميًّا، وما زلت أحدِّقُ في سرب النَّمل المارِّ أسفلَ أوراقي، تهديه رائحتي إلى كيس سكَّر النَّبات الَّذي أحتفظُ به في الدُّرج الأوَّل من مكتبي، هذا الدُّرج الَّذي أخصِّصُه لأهمِّ أوراقي ومفاتيح العمل والمنزل، وحتَّى مفتاح الجُزء المخصَّص لليلى في دولاب ملابسي.
سقطَت من دُرجي ورقة، تناولتُها بعد أن اجتمعَ عليها النَّملُ ليصنعَ فيها ثقوبًا عدَّة؛ لم يتبقَّ ممَّا كان فيها غير عبارة واحدة كنت قد كتبتُها لها يومًا: لا أستطيع فعلَ ذلك الآن... عليكِ أن تتفهَّمي.
أعدتُ ما تبقَّى من الورقة إلى الدُّرج. أتناولُ قطعةَ سكَّرٍ من الكيس قبل مواعيدي مع ليلى أو، حتَّى، كلَّما مرَّت ليلى ببالي ضاحكة: لا تنسَ السُّكَّر قبل امتزاجي بلعابك أو، حتَّى، بخيالك.

تهدي النَّملَ، أخيرًا، الرَّائحةُ، فيقتحمُ دُرجي بشراسةٍ مدافعًا عن حقِّه فيه، أدافعُ عن الكيس بقوَّة، أستخدم المضرب كعادتي دونَما جدوى، تحتدمُ المعركة، اضطرُّ لاستخدام المُبيد الحشريِّ على الرَّغم من معاناتي من مشاكلَ في التَّنفُّس تحيلني لنوبة سعالٍ حادَّةٍ بعد استنشاقه؛ لكنَّ هذا لا بدَّ منه.

إنتهتِ المعركةُ بأن فقدتُ السُّكَّر، وانتابَتني حالةٌ من ضيق التَّنفُّس أحالتني لنومٍ متقطِّع.

أتناولُ قميصَها الأسود من على المشجب، وأحتضنُه، أتنفَّسُه بعمق، لعلَّ رائحتَها تهديني إليها. في الصَّباح، أخرجُ إلى المقهى الَّذي اعتدنا ارتيادَه، تتأبَّط ذراعي أنا بعشق الغنى في حضن عينيك، أنا هنا من أجلك قبل أن أولد بأعوام، وسأظلُّ هنا من أجلك بعد أن أرحلَ بأعوام، ألملمُ من عينَيك ابتساماتي، وأرسم فوق شفتَيك آهاتي، سأظلُّ أغنِّي حتَّى عندما يأخذون روحي منِّي، سأهمسُ بينما أستجيرُ بصدرك: لو تركت حضنَك يومًا سأموت.

من خلف النَّافذة لمحتُها، هي حبيبتي تضع طرفَ بنصرها على حافَّة فنجان القهوة، بينما يلعقُ، هو، أصبعَها في نَهَم. تقتربُ منه في دلال، أيمكنُك شربُ القهوة بمفردك بعد اليوم. يتناولُ يدَيها ليقبِّلَ أطراف أصابعها، تضغط على يده: إن تركت حضنَك يومًا أموت.

لا ألمحُ في عينَيها بريقًا كان بيننا حينما تهمس بالكلمات عَينها، لا أجد في يدَيها ارتعاشةً كانت تعتري جسدَها كلَّه على أثر كلِّ ضغطةٍ تسري بين يديَّ ويدَيها، جسدها يرقدُ بجواره في صمتٍ على الرَّغم من حديثهما المُفعَم بالارتشافات.

تعمَّدتُ أن أخفيَ وجودي عنهما؛ جلستُ مُنزَوِيًا في ركنٍ دني منهما خلف العمود الَّذي يفصل منضدتي عنها كي لا تراني.

أشعر بالبرد، يقتربُ منها، يعدل وضعَ شالها الورديِّ على كتفَيها: المكان مغلق ودافئ، لا تفكِّري في البرد... فلا تشعرين به.

تحدِّقُ في نقطة بعيدة عن جلستهما بينما تتلحَّفُ بشالها الورديّ، وتُحكم وضعَه على جسدها. نملة تنادي أخرى لتعاونَها على حمل حبَّة سكَّر سقطت من ليلى سهوًا بينما تزيد في فنجانها السُّكَّر كما اعتادت. أدارت النَّملة لها ظهرها وتركتها تحمل حملها وحدَها.

أشعرُ بالبرد، قالَتها في حضني يومًا، فخلعتُ عنِّي قميصي. همست: هكذا ستصابُ بنزلة برد. إقتربت منها، لامس جلدي جلدَها، انتفضَ جسدي كلُّه، تلحَّفتُ جلدي، توسَّدت صدري حتَّى استكانت، وتحوَّلتُ، أنا، لجمرة نار تشعُّ دفئًا يكفي العالمَ بأسره: إن بقيتِ هنا تمتزجين بي لن تُصابي بالبرد يومًا.

إرتعاشتُها تزدادُ كلَّما نظرت بطرفٍ خفيٍّ من زجاج النَّافذة. لا أحتاج للتلصُّص على المارَّة عبر النَّافذة لألمحَك قبل إتيان موعدنا.

وَقعُ أقدامك على الأرض يُحدث دبيبًا يهديني إليك، كنت ألتفت قبل أن تأتيني بثلاث خطوات أو يزيد بابتسامةٍ قالت يومًا إنَّها تبتلعُ أحزانَها.

ذهبت لتعدِّلَ من هندامها، عادت وهو ما زال غارقًا في أفكاره. هيَّا بنا، حان وقت عودتي، وإلاَّ عنَّفَتني أمِّي للتَّأخير. أجمل ما في أسرتك، حبيبتي، التزامُهم وتحفُّظُك.

عندما خرجا، وتوارى ظلُّها في الزّحام، طلبت فنجانَ قهوتي، وضعت طرفَ بنصري على حافَّة الفنجان، انسكبَ منِّي من دون أن أرتشف منه رشفةً واحدة، دفعتُ للنَّادل.

أعجبتك القهوة؟!

إنَّها أسوأ ما شربت في حياتي. لا أعرف للقهوة طعمًا إلاَّ معها، تزيدُ السُّكَّر، تقلبُ الماءَ بالبنِّ جيِّدًا حتَّى تنضج. تضع الفنجان على صدري، وترتشف منه رشفةً وتسكبها في فمي؛ لكن، في آخر لقاء بيننا رميت بها بعيدًا عن صدري، تعلَّقت بيدَيها بعضُ شعرات اقتطفتُها من حشائش صدري بينما أدفعها عنِّي في عنف: تتزوَّجين!

ترتدي ملابسَها على عجل: هكذا تظنُّني مجرَّد بائعة هوى، اليوم لك وغدًا لمَن يريدُ المتعةَ بمقابلٍ أكبر. حبيبتي، أنا لم أقُلْ هذا، لم أعنِ ما وصلَ إليك، أنا لا أتصوَّرُك لغيري فقط. كيف تسرَّبت إليك هذه الفكرة!

عدت لفراشي أجاهد عيني، ربَّما استطعت إرغامَها على غفوةٍ قصيرة، أتابع حركةَ النَّملة على الجدار. يبدو أنَّها لاحظت رؤيتي لها، لقد انكشفت الآن وتعرَّت أمامي لأصبح عدوَّها اللَّدود، أو هكذا ظنَّت. وضعت آخر نقطة سمٍّ في جوفها عبر شفاهها فى جسدي لعلَّها تنجو، لكنَّ قرصتَها تعني موتَها. اقتربت من فمي، في الفجوة بين الشَّفتَين فعلَتها و لدغَتني.

لَطالَما شغلني هذا السُّؤال: **هل صحيحٌ تموتُ النَّملةُ حين تقرص؟!**

Tawfiq Bouchari **توفيق بوشري**
Moroccan poet and short-story writer, born in 1978 (Salé – Morocco). Concerned by culture, with several writings.

Poète et nouvelliste marocain, né en 1978 à Salé (Maroc). Intéressé à la culture avec plusieurs écrits.
شاعِرٌ وقاصٌّ مغربيّ، من مواليد سالا (المغرب) عامَ ١٩٧٨. يهتمُّ بالأنشِطَة الثَّقافيَّة، وله كِتاباتٌ مختلِفة.

صَحوَةُ الحمار

(مُقتَطَفات - *extraits* - extractos)

ألإهداء

إلى أمِّي ثم أبي

إلى زوجتي الغالية، الَّتي تيسِّرُ لغضبي برعايتها العظيمة، بحضورها الخاصّ، الانفجارَ برقَّة، بصدِق، بجَمال في وجه الورق، نافثًا وجوداتي...

إلى كلِّ مَن يرفَع شعارَ:

لا تيأس، لا تيأس، يا رافعَ الرَّجاء... لا تيأس...

إلى كلِّ مؤمنٍ بالغد... المُشرِق والمُثمِر...!

كلمةُ توضيحٍ و تقدير

سيِّدي... وصديقي الحمار...

حَرِيٌّ بك أن تفخر، لا أن تظنَّ بي سوءًا بمعنى أنِّي استهزأتُ بك، أو سخرتُ منك...

إنَّك، إن عجزتَ عن بناء حضارة وتأسيس تاريخ لأمَّتك، فلأنَّك فُطرتَ على قدرك رحمةً بك... وما حدتَ عن ذلك...

حرِيٌّ بك أن تعتزَّ، فالنَّاسُ من الحسد ينسبون إليك البلادةَ والغباوةَ غيضًا. والحقُّ أنَّه لجَلَدك الأسطوريّ، صبرِك العظيم، قوَّةِ تحمُّلِك، حِلمِك عليهم وعدمِ زيغك عن الحكمة الإلهيَّة، يُسقطون على ذاتك البريئة سفاهةَ تناقضاتهم، خبيثَ تفكيرهم وآثامهم، وبليدَها...

والنَّاسُ، من الغبطة الشَّديدة يعجزون عن التَّعبير والكلام إجلالاً أمام وقفتك الحازمة وما أوتيتَ ما أنعمَ الله عليهم به...

وحَرِيٌّ بك أن يزيدَك فخرًا أنَّك لا تتكلَّفُ عناءَ ردِّ إذاية شاتمٍ ولا دفعِ ظلمِ جاهل...

أهي رفعة؟!

حَرِيٌّ بك أن لا تظنَّ بي سوءًا...

إنِّي لا أملكُ أن أزدريَ أو حتَّى أسخرَ بهتانًا، فلقد قرأتُ في عينك الجميلة البريئة والثَّاقبة شجونًا وإشفاقًا من نذالة البشر المعتوهة...
وما صمتُك الزَّاهي إلا إباءُ خَوضٍ في ما تقشعرُّ من هَوله وبشاعته الأرواحُ العزيزةُ والشَّريفة...

صَحوَةُ الحمار

حين يشجبُ الحمارُ الحصارَ
عازِمًا
وقفَ الاحتِضار
معوِّلاً...
تحويلَ مَسار القطار
يقضي أجدادُنا
في رموسهم
يموتون كلَّ يومٍ أسودَ
ألفَ ميتة
ومليونَ انتحار!

حسن النـوَّاب **Hassan An-Nawwab**

Iraqi journalist and poet, born in 1960 (Al-Manazira – Iraq), living in Australia. With several published writings, manuscripts, cultural activities and prizes.
Journaliste et poète irakien, né en 1960 (Al-Manazira – Irak), vivant en australie. À son actif s'inscrivent des écrits publiés, des manuscrits, des activités culturelles et des prix.
صحافيٌّ وشاعِرٌ عراقيّ، من مواليد عام ١٩٦٠ (المناذرة – العراق)، مُقيمٌ في أُستراليا. عملَ في الصِّحافة، له كتـــبٌ مَطبوعَة، إلى مَخطوطات؛ أسهمَ في أنشِطَةٍ ثقافيَّةٍ متنوِّعة، ونالَ جوائزَ مختلِفة.

قصائِدُ بثِياب الملائِكَة

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

١

ماذا نريد من البلاد؟
نريدُ أن نسمعَ فيروزَ صباحًا،
ويصلِّيَ بعضُنا
في مساجدها وكنائسها ومعابدها ظهرًا
ونزرعَ وردًا في حدائقها
ونقرأَ شعرًا مع أنخابنا عند المساء
هذا كلُّ ما نريدُه من البلاد.

٢

أجَل،
بلادي حبلى بالنَّفط،
تُنجبُ ملايين البراميل كلَّ يوم،
ويرضعُ من خيرات ثدييَيها
الذَّواتُ والرُّعاة؛
لكنَّ الفقراء يتفرَّجون
بلوعةٍ على كلِّ ذلك
ويأملون بقطرة زيت
تُنيرُ سراجَ بيتهم المُطفَأ
منذ حرمانٍ قديم.

٣

كلَّما شحَّ الحبُّ

في قلوب السَّاسة
وازدادَ نزفُ النَّفط،
فاضَتِ الدِّماء
في البلاد.

٤

وَحدَه الموتُ يعرف
أنَّ عددَ المفخَّخات
الَّتي انفجرَت في البلاد
تُساوي عددَ النَّخيل
الَّذي فارقَ الحياة.

٥

البلادُ الَّتي تَخلو من الفقراء
لا تدخلُ الجنَّة
والبلادُ الَّتي تَخلو من الأثرياء
لا تدخلُ النَّار.

٦

وحدَهم المَنفيُّون
يُبصرون
عن كَثَب
ذلك الجرحَ الرَّاعف
من هامَة البلاد.

٧

البلادُ الَّتي تضطهدُ الشُّعراء
تضطهدُ الملائكة.

٨

ما هي البلاد؟
إنَّها
شجرةُ زيتون
لا شرقيَّة، ولا غربيَّة.

٩

ما هو الشَّاعر؟
إنَّه مجموعةٌ من الملائكة
الَّتي أضاعتِ الفردوس
في البلاد.

١٠

لا نريدُ بلادًا
تشربُ دمًا من أبنائها
أكثرَ
ممَّا تُرضعُهم الحليب.

Hamid Al-Hajjam **حميد الهجَّام**

Moroccan novelist, born in 1967 (Casablanca – Morocco), living in Singapore. With several books published in Libya, Syria and the United Kingdom.
Romancier marocain, né en 1967 à Casablanca (Maroc), vivant à Singapour. À son actif s'inscrivent des livres publiés en Libye, en Syrie et au Royaume-Uni.
روائيٌّ مغربيّ، من مواليدِ الدَّار البيضاء (المغرب) عامَ ١٩٦٧، يعيش في سنغافورة. في رصيده كتُبٌ مَنشـــورَةٌ فـــي ليبيا وسوريا والمملكة المتّحدة.

١٣ لحظةً خلفَ النـّافِذَة

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

(..) ١- ... غرفتُه في الطَّابق الثَّاني، تُقابلُ حديقةً تُسَيِّجُها أشجارٌ من مختلِف الأنواع والأشكال والأحجام... انقبَعَ هناك خلفَ نافذةٍ ذات إطارٍ من خشبٍ مسوَّسٍ مقسَّمٍ إلى أربعة مربَّعات زجاجيَّة... يرتصدُ من خلالها انسكابَ المداد الأحمر على صفحة السَّماء...

(..) ٢- ... سحاباتٌ في شكل ندفٍ قطنيَّةٍ تتلاشى بتؤدَةٍ وبطء، وهي تتهادى كما لو أنَّها كانَت تسايرُ إيقاعَ لحنٍ خَفِيّ... يدركُ بفِعل التَّعَوُّد أنْ، بعدَ هُنَيهَة، سيغمرُ فيضٌ بنفسجيٌّ أرجاءَ الكون، ومن بين عروش الأشجار الباسقة، ستنسابُ خيوطٌ ذهبيَّةٌ إلى عمق الغرفة... وسوف يتغيَّرُ لونُ الخزانة ذات الرُّفوف المحشوَّة بالكتب... وستذوبُ كآبةُ الجدران في محلول الشَّفق، وأمَّا الصُّورةُ المعلَّقةُ إزاء النَّافذة، فربَّما ستبدو أكثرَ إشراقًا وأشدَّ توهُّجًا من ذي قَبل...

(..) ٣- ... سنونٌ أهدرَها مُحاولاً استفهامَ حركة الكون ومبرِّرات الوجود... تلَتها أخرى ارتدَّ فيها حافرًا بالمعاول في تربة الذَّات، بعد أن أيقنَ استحالةَ الخَوض في خضمِّ الغمر من دون المرور عبر المهابط والمنحدرات... وها هو الآونةَ يَحيا ملاذَه الوحيد، ملاذَ ترقُّب لحظةِ تَضاجُعِ ألوان أطياف الشَّمس... تعلو خيوطٌ سوداءُ شاشةَ ذاكرته وتتناهى إلى مسامعه خرخشات، وبعدَ حينٍ تستقرُّ صورة...

(..) ٤- ... نهرٌ واسعٌ رَحب... وفي مُنتهاه... ينتصبُ مهيبًا... شلاَّلٌ منيف... شبيهٌ بمَهاوي الأساطير... وكائنٌ يصارعُ التَّيَّارَ في خضمِّ الوادي... كان عليه أن يناورَ لبلوغ أحد الشُّطآن حتَّى ينجوَ بنفسه متجنِّبًا انجرافَه الأكيدَ إلى منحدر الشَّلاَّل حيث نهايتُه، لا مَحالة، ستكونُ مَحتومة...

(..) ٥- ... أين رأى هذا المشهد؟!... أَهِيَ لقطةٌ من فيلمٍ سينمائيّ؟!... أم تُراه مَحضُ حُلمِ يقظة؟!... أم من أعماق لاشُعوره انبثقَت هذه الرُّؤى الكابيَة المنفلِتَة من لجج الأزمنة الغابرة؟!... أقنعَ نفسَه في لمح البصر أنَّ تلك الإرهاصات لا تَعدو أن تكونَ تعبيرًا طبيعيًّا عن إحباطٍ دوريٍّ أو، بالأحرى، ردَّ فعلٍ نفسيّ، نتيجةَ التَّفكير العَقيم والتَّمَوُّر في الحلقات السَّديميَّة الفارغة... كان ذهنُه في ذلك الزَّمن مُهَيَّأً لالتهام أيِّ تفسيرٍ مضمَّخٍ برائحة قياسٍ منطقيٍّ ما...

(..) ٦- ... بغتةً، أجالَ ببوصلة بصره في أرجاء الغرفة إلى أن ارتطمَت لواحظُه بفضاء الحديقة... فقلَّصَ من مسافة التَّركيز بعد أن تسمَّرت عيناه على نحوٍ غير مفهومٍ على النَّافذة، حيث

كانت ذبابةٌ تائهةٌ تستميتُ محاولَةً اختراقَ الزّجاج... رفرفةُ جناحَيها كانت تصدرُ أزيزًا ذا إيقاعٍ متقطِّع: ز... زززز... زززززز... زززززززز... زز... ز... إنَّها لحظةُ انهيارٍ في ركنٍ من حافَّة النَّافذة... هكذا تظلُّ اللَّعينةُ المسكينةُ تسألُ الحاجزَ المزجّجَ الأخرسَ إلى أن تخورَ قواها، وبعد استراحة محارب تعيدُ الكرَّة...

(..) ٧- ... زمن يلفي المَرءُ ذاتَه فيه أسيرَ التَّيَّارات الجارفة، عليه إدراكُ لا جَدوى دونكيشوتيَّة السِّباحة العمياء... ضرورة المناورة... هجسَ في سريرته وتابعَ خطَّ سَير أفكاره في متاهاتٍ لا حدودَ لها...

(..) ٨- ... على المَرء اللُّجوءُ إلى الحوَّاف وترتيب أوراقه واستجماع قواه قصدَ الانفلات من أنفاق المضاخات... وعامل الزمن...؟

أجَل، له دورٌ رئيسٌ في تقوية احتمالات النَّجاة... والمعادلةُ لن تُحَلَّ إلاَّ بحسابٍ دقيقٍ للطَّاقة المتوفِّرة في تقاطعها مع الزَّمن المُتاح...

(..) ٩- ... راحت ذبذباتُ تأمُّلاته تخفتُ تصوُّرًا فتصوُّرًا... بينما أطيافُ موجودات الغرفة تتموَّهُ ظلاًّ فظلاًّ... والزَّمنُ راحَ يفقدُ من أَلَقه بريقًا فبريقًا... لحظة انتشاء أو لحظة إشراق صوفيَّة الآفاق... النَّافذة بمربَّعاتها الأربعة يتباهتُ لونُها وتتماثلُ إطاراتُها... لكنَّ التَّماثلَ والتَّناظرَ لا يخفيان حقيقةَ كون المربَّع الأعلى إلى اليسار، يتمايزُ بثقبٍ صغيرٍ عند الزَّاوية الفوقيَّة إلى اليسار...

(..) ١٠- ... فجأةً، وكما يحدثُ في الأحلام، شرعت بناتُ النَّار في التَّسلُّل من خلال الأغصان، ثملَ الكاتبُ اللاَّمَرئيُّ المُتربِّعُ على عرش السَّماء... تزحزحَ قليلاً، وبحركةٍ طائشةٍ جدًّا، أهرقَ المدادَ القرمزيَّ على صفحة المساء الأولى. لُطَخٌ تشكيليَّةٌ تجسَّمت في أشكالٍ شبيهةٍ بترشيمات نساء أفينيون التَّجريديَّة...

(..) ١١- ... فجأةً، وكما يحدثُ في عادي الأيَّام، استجمعَتِ الذُّبابةُ قواها وزحفَتْ بقوائمها الأربع الخيطيَّة الشَّكل إلى أنِ اصطدمَتْ بزاويةٍ قائمةٍ عند نقطة الصِّفر... بحَدسٍ فطريٍّ أدركَت أنَّ عليها الاستناد إلى خط الأرتوب حتَّى تقاوم... تقاوم قوَّةَ جَذب الحرف... حرف جي... اللاَّتينيّ... اللَّعين... ٩,٨ ر/ب٣... ها هي ذي تزحفُ صعودًا، فرويَدًا، بتمهُّلٍ وثبات، إلى أن وصلَت إلى الزَّاوية الفوقيَّة حيث الثّقب... توقَّفت هُنَيهَةَ انشِداه... ومن دون شكٍّ تساءَلَت: "هل هذا حقًّا هو الثّقبُ المُفضي إلى ا.ل.س... إلى ا.ل.ح... إلى الأمام... إلى الانطِلاق...؟!"

... نَعَم... نبسَت بلغة الذُّباب السَّهلة الاستِشفار...

(..) ١٢- ... شدَّت عزمَها وانطلقت صارفةً العِنان لمَهر الطَّاقة المتهجِّعة بداخلها، والَّتي عادةً لا تستنفرُ إلاَّ أوانَ الانعتاق... نقطة سوداء هائمة في الفضاء شيَّعها إلياس وهي تشقُّ عبابَ الأثير الذَّهبيِّ إلى أنِ اختفَتْ عن ناظرَيْه ذائبةً في لجِّ السَّماء...

(..) ١٣- ... تبلَّعَ ريقَه بصعوبةٍ بالغة... أحسَّ بفراغٍ في ذهنه... فراغٍ تافهٍ مؤطَّرٍ بنافذةٍ مقسَّمةٍ إلى أربعة مربَّعات من الزّجاج الشَّفيف... الحديقة بأشجارها الباسقة وأغصانها المنشبِكَة وممرَّاتها المتربة... ت.. ت.. ل.. ا.. ش.. ى... ت.. ذ.. و.. ب... ت.. ن.. د.. ث.. ر...

كلَّما صغُرَتِ الأسرارُ خلفَ النَّوافذ تضخَّمَتْ داخلَ الذَّوات!

"تُرى، ماذا كان سيكونُ مصيرُنا - (أنا والذُّبابة) - لو كنَّا في مربَّعٍ آخَرَ بلا ثقب مَخرَج؟". هذا ما هجسَ به إلى نفسه، فأحسَّ بتعكُّر مزاجه، وفكَّرَ في الخروج إلى الحديقة لتنشُّق هواء المساء الطَّريّ.

Khaled Khashan **خالد خشان**

Iraqi poet, born in 1966 (An-Nassiriyya – Iraq). With several printed works and cultural activities , he was translated into French, English, Italian and Persian.

Poète irakien, né en 1966 à An-Nassiriyya (Irak). À son actif s'inscrivent des écrits publiés et des activités culturelles. Traduit en français, anglais, italien et perse.

شاعرٌ عراقيٌّ، من مواليد النّاصريَّة (العراق) عامَ ١٩٦٦. له أكثر من عمل مَنشور، وهو ناشطٌ ثقافيٌّ في أكثر من مجال. تُرجِمَت له قصائدُ إلى الفرنسيَّة والإنكليزيَّة والإيطاليَّة والفارسيَّة.

الطَّائِرُ الوَحشيّ

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

أحتويك دائمًا بزعانفك الحادَّة
وقلتُ لك علنًا في ارتفاع العزلة

إنَّك نشيدي الَّذي لا يملّ
نشيدي الَّذي أردِّدُه كلَّ يوم
في ممرَّات حنجرتي اليابسة
وكنتَ مخلِصًا
بأشواكك

هكذا أنت دائمًا
قلبٌ شديدُ الضَّباب
وغيرُ مدجَّن.
كانت لك نوافذُ تفتحُها
أصابعُ ملوَّنةُ الأظفار
تُشيرُ إليك
ويدان تشمَّان تعبَك
كم أنت غريبٌ الآن...
ووَحيد
تعالَ هادِنْ رصيفَك
فلم تعُدِ الأشجارُ عاليةً
بعدَ الآن

... سأُطلقُ جناحيَّ
إلى سماواتٍ زُرق
محلِّقًا بحبٍّ مَن أحبَّني
لا يَعنيني الزّحام
أصطدمُ بنفسي أكثرَ الأحيان
أنا طائرٌ وثنيٌّ مُكابرٌ وَجل
لا أمنَ إلاَّ بك
(أعمى يقودُني إليك)
على ضوء صلاتك

وكنتُ أدحرجُ أمنياتي
الَّتي لم تعُد صالحة

في جلال العراء
بعد أن تركت باقة ورد عند الباب
قُل: هذا ما احتوَته الأصابعُ من برود المصافحة
وما أنجبَه وعاءُ الوجوه من سكاكين الأسئلة
حينما تمرُّ وحيدًا من دوني
قُل: أنا العاشقُ المعتَّقُ في دِنان السّلالات
احتَسِني الآن كي تسكر
ستراني مُضيئًا في الرّكعة الأولى
ولاثِمًا شفتَيك في الرّكعة الثَّانية.

Khadija Mouaddi **خديجة موادي**

Moroccan short-story writer, born in Casablanca (Morocco). With several published books, writings, prizes and cultural activities.
Nouvelliste marocaine, née à Casablanca (Maroc). À son actif s'inscrivent des livres publiés, des écrits, des prix et des activités culturelles.
قاصَّةٌ مغربيَّة، من مواليد الدَّار البيضاء (المغرب). في رصيدها كُتُبٌ مَنشورَةٌ، وكتاباتٌ، وجوائِزُ، إلى أنشِطَةٍ ثقافيَّة.

في المقهى

(full text - *texte intégral* - texto completo - النَّصُّ الكامل)

وسِرتُ أحملُ قلبي كمَن يَحملُ قنبلةً مَوقوتَة، قلِقةً أرشفُ أفكاري في تيه. تحضنُني الأزقَّةُ في هدوءٍ خريفيٍّ تتساقطُ زخَّاتُ مَطرِه فوق رأسي الحسير بتناغمٍ لذيذ. أنفخُ في مزمار الذَّاكرة فيُهديني صوتَه حبقًا برِّيًّا من أزاهيرَ ألمحُ طيفَه بها يُراقِصُ حنايا أضلُعي في ترَقُّب.

تَسري بصدري رعشةُ ألَمٍ سجينٍ، وقد عاوَدَني التَّرَدُّد:
"أأَمضي قُدُمًا، أم أنحرفُ يسارًا، لأرتميَ بين أحضان جدراني؟"
يعودُ إليَّ طيفُه من جديد، فأرسمُ بألوانٍ قُزحيَّةٍ وجهَه الهادئ، وإشراقةَ عينَيه بفرَحٍ طفوليّ:
كوني يومَ عيدٍ لقَلبٍ بائس... ورتاجَ أحلامٍ مُعتَقَلَة، ورمَّانةَ كلِّ كلماتي. أحتاجُك زنبقةً عطرةً تضمِّدُ نزيفَ جراحاتي... سأنتظرُك!!
كان بصوته شيءٌ غريب، أشبهُ بالصَّلاة، بالرَّجاء، بالأدمع تتمازجُ وبهجةَ انتظارٍ في زمنٍ عابِس، تفتضُّ أحرفَه قسوةُ الحناجر، لتخطوَ عتباتِ قَهقَهاتٍ طويلة. غمرَني دفءُ المكان وأطرافي تكادُ تتجمَّد. لاحقَتني عُيونٌ تزرعُ الفضولَ هوايةً، اخترَقتُ رغوةَ الأصوات والهمسات بخطواتي الحَذِرَة، وعيناي تضمَّان الأوجهَ في صمت: مُقلَتان فَوهَتان، مُصوَّبتان نحوي، وشَفَتان مبَلَّلَتان بطَعم القهوة. وعلى الصَّدر "الأبلَهُ" مَضمومًا، وشهقةُ صوته تمتماتٌ تُناديني. بالكاد كانَت تفصلُني عنه مسافةٌ قصيرة، أحسَستُها تتلاشى وأنا أتطلَّعُ إليه بابتِسامة، لَمْ أدرِ لِمَ لَمْ تكُنْ وضَّاءَةً مثل ما تمنَّيت.
سقطَ منه "دوستويفسكي" وهو يحاولُ الوقوف، مُستَعينًا بسيقان العذاب الحديديَّة كي يدنوَ منِّي. يجلدُني الألمُ حين أراهُ يتخاذلُ حتَّى ليَكادُ يسقطُ أرضًا، بينما الأصواتُ المُختَلِطَةُ تَتَدَثَّرُ خلفَ معطف الشَّفقة القاسيَة. أسرعتُ إليه، فأحاطَ عُنقي بذراعه. وهو يَفعَل، أحسَستُ أنِّي أقتربُ من رحمات الإله ومن أنفاس ملاك طيب يُقاومُ جحيمَ الآخَرين برقَّةٍ ورصانةٍ شديدة. نظرَ إليَّ بقامَةٍ مَشدودةٍ في عَزمٍ وحُمرَةُ وجهه تتلاشى...
تبادَلنا الابتِسامَ في خُشوع.
همَسَ إليَّ بعُذوبَة:
كنتُ موقِنًا أنَّكِ ستأتين!

Khalid Khraybish **خليد خريبش**

Moroccan poet and short-story writer, born in 1975 (Stat – Morocco). Teacher, with several writings for children, prizes and cultural activities.

Poète et nouvelliste marocain, né en 1975 à Stat (Maroc). Enseignant ayant à son actif plusieurs écrits pour enfants, des prix et des activités culturelles.

شاعِرٌ وقاصٌّ مغربيّ، من مواليد سطات (المغرب) عامَ ١٩٧٥. مدرِّس، في رصيده كتاباتٌ للأطفال، وجوائز، وأنشِطَةٌ ثقافيَّة.

وبُلبُلٍ ما أجملَهْ!

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

وَبُلْبُلٍ مَا أَجْمَلَهْ!
فِي شَدْوِهِ مَا أَغْزَلَهْ!
تَغْرِيدُهُ فِيهِ وَلَهْ
وَصَوْتُهُ مَا أَعْدَلَهْ!
لَكِنَّهُ فِي مُعْضِلَهْ
فِي قَفَصٍ مَا أَكْبَلَهْ!
حُزْنًا شَدَا مَنْ كَبَّلَهْ؟
لا شَكَّ يَقْضِي أَجَلَهْ
هَذَا مَكَانٌ لَيْسَ لَهْ
وَلَيْسَ هَذَا مَنْزِلَهْ
يَا لَيْتَهُ فِي مِشْتَلَهْ
قَطْرُ النَّدَى قَدْ بَلَّلَهْ
عُصْفُورُنَا مَنْ غَلَّلَهْ؟
خَسِئْتَ يَا مُكَبِّلَهْ
مَنْ ذَا الَّذِي قَدْ كَبَّلَهْ؟
يَا وَيْلَهُ، يَا وَيْلَ لَهْ.

رائد غنيم **Ra'id Ghunaym**
Palestinian short-story writer and civil engineer. Working for the Palestinian Ministry of Education and Teaching, with several writings.

Nouvelliste et ingénieur civil palestinien. Travaille pour le ministère palestinien de l'éducation et de l'enseignement. À son actif s'inscrivent plusieurs écrits.
قاصٌّ ومهندسٌ مدنيٌّ فلسطينيّ. يعملُ لصالح وزارة التّربية والتّعليم، وله كتاباتٌ مختلِفة.

مَجنونٌ دونما ليلى...

(النَّصُّ الكامل - *texte intégral* - texto completo - full text)

أنا لستُ مُتاحًا دائمًا...

فإمَّا أن تَقبَلي بي الآن، أو ترفضينني إلى الأبد!

سأنتقمُ اليومَ لدهماء مشاعري، لن تبقي مستقرَّةً على ربا أوجاعي ومشاكلي، سأمنحُك خياراتي: إمَّا أن أتواضعَ صعودًا إليك! أو أن تترفَّعي نزولاً إليّ!

ما عادت برزخيَّة المشاعر لِتُرضيَني، ما عادت إيحاءاتُ عينَيك لِتكفيَني... سأرفضُها لغةُ العِشق الرَّسميَّة! لن أقبلَ صمتًا يُرضيك ليُدميني! لن تتلذَّذي بعد الآن برؤيتي مُنتظرًا في محطَّات عبورك! ولن أُشبعَ أذنَيك بصدى قدميَّ وهما يقتفيان أثرَك!

تعبَت خُطاي... وما وهنَت مشاعري أبدًا... أمجنونٌ أنا؟!

– خالد... لن تستطيعَ النَّوم في البيت اليوم!

هكذا تُنذرُني أمي، فأسألُها مُستَهجِنًا: لِمَ؟ فتُجيبُني وهي تسرِّحُ شعرَ أختي الصَّغيرة:

– لأنَّ جيراننا سيحتفلون اليومَ بخطبة إحدى بناتهم...

ويقصمُني قولُها لأكثرَ من نصفين! أودُّ أن أسألَها:

– أيّ جيران، رَعاك ربِّي، تقصدين؟

لكنَّني أبتلعُ تساؤلي، وأفلحُ في أن أُبديَ أمامها شيئًا من غضبي وضجري! لأخفي ما يستعرُّ بداخلي من غلواء مشاعري وجنوني...

كان لأسطوانة الصَّمت الَّتي صنعناها معًا أن تصيبَني بالغثيان، ولم أجدْ خيرًا من شرفة غرفتي لأنفثَ فيها كَبتي وحرماني!... وطفقتُ أرقبُ وأنتظر، لعلِّي أنعمُ بلُقيا صمتٍ أخيرةٍ بيننا! أن تطلِّي من شرفتك لتَمنحيني وداعًا خابيًا لا كلامَ فيه ولا نظرات حتَّى!...

لكنَّك بَدَيتِ وكأنَّك تترفَّعين عن ذلك...

أكنتِ كالشَّمس لي؟ أكانَ إشراقُك في نفسي ليس سوى الخطوة الأولى لغيابٍ كنتُ أتحاشاه وأهربُ منه؟! وأين أهربُ الآن؟ كيف يكونُ لصمتي معنًى يمنحُني مبرِّرات كي لا أتكلم... وأتألم؟...

وأصختُ السَّمْع... قرّبتُ أذنَيَّ من جدار الأسمنت الحاجز بيننا! ودَدْتُ لو أسمع حفيفَ ثوبك تنقلُه إليَّ الرِّياحُ المتآمرة! أن أسمعَ صوتَ والدتك وهي تأمرُك وتنهرُك، أن أترنَّمَ بصدى الأطباق وأنتِ تغسلين وتجلين!

ليس الآن فقط تمنَّعتِ عليَّ!

كان الصَّمتُ دومًا شعارُك ولواؤُك!

ولمَّا أصختُ السَّمْع أكثر، جاءني الفرحُ المغادرُ مرَّةً ثانية! جاءني من شـــرفة جيراننـــا الآخـــرين المجاورين!

كان الفرحُ هناك... لستِ أنتِ إذًا مَن يتكلَّمون عليها! لستِ أنتِ العروس! لستِ أنتِ مَن سيُتوِّجونها كمَلِكة تنهشُها النَّظراتُ والتَّعليقاتُ المُجحِفَة!

ستعودين إذًا إلى مملكة عينَيّ، لن ينظرُك إليكِ أحدٌ سواي!

وعادَ النِّداءُ في نفسي مرَّةً ثانية:

أنا لستُ مُتاحًا دائمًا...

فإمَّا أن تَقبَلي بي الآن، أو ترفضينني إلى الأبد!

ما عادَ الصَّمتُ فعلاً يُجديني ويَكفيني... متى ستزورين الجيران؟!

هيَّا اظهَري من قمقم غيابك وتخفِّيك، لأجلدَك بلساني ونظراتي وصراحتي... لن أدعَك بعد الآن!

أيُّ من ثيابي تليقُ للُقياك؟... نثرتُها في أرجاء الغرفة، وانتقمتُ لمشاعري الَّتي تخيَّلتُك بها في ذَلكُم الثَّوب الأبيض المشؤوم!... ارتديتُ أشدَّ ثيابي سمرةً وحلكةً! وطفقتُ أنتظرك...

أطلتُ التَّحديقَ من ثقب باب منزلي، ورأيتُك بعد ذلك تخرجين...

وجاءني تأويلُ رؤياي الكابوسيَّة!

أكنتِ تتحدِّينني؟! رأيتُك بثوبك الأبيض المشؤوم!!

أخرسَتني المفاجأة...

لم أفهم... ولم أتكلَّم...

كيف؟!

وجاءني التَّأويل بعد ذلك من أمِّي:

– "بيتُهم لم يتَّسِعْ للفرح... فأقاموه عند الجيران!!"

عند السَّاعة الثَّامنة والدَّقيقة الثَّامنة من مساء يوم الأحد الواقعُ فيه الرَّابعُ من نيسان ٢٠١٠، في كافيتيريا النُّوَيري.

Samira Kadiri **سميرة القادريّ**

Moroccan opera and soprano artist, researcher in Arabic music and Andalousian patrimony. Director of Dar Ath-Thaqafa in Tetouan (Morocco). With several individual and collective works, and various international awards as Al-Farabi's prize for ancient music and the medallon of the Arts-Sciences-Letters Academy (Paris, 2010). Extraordinary Ambassador, Naji Naaman's Foundation for Gratis Culture (FGC, 2011).

Artiste d'opéra et de soprano marocaine, chercheuse en musique arabe et patrimoine andalouse. À son actif s'inscrivent des travaux individuels et collectifs et des prix variés, comme le prix Al-Farabi pour la musique ancienne et la médaille de l'Académie des Arts-Sciences-Lettres (Paris, 2010). Ambassadeur Extraordinaire, Fondation Naji Naaman pour la Culture Gratuite (FCG, 2011).

فنَّانةُ أوبرا وسوبرانو مغربيَّة، وباحِثةٌ في الموسيقى العربيَّة والتُّراث الأندلُسيّ. مديرة دار الثَّقافة بتطوان (المغرب)، لها أعمالٌ فرديَّةٌ وجَماعيَّةٌ عديدة، حائزة عددًا من الجوائز العالميَّة، منها جائزة الفارابي للموسيقى العريقة، وميداليَّة أكاديميَّة الفنون والعلوم والآداب (پـــاريس، ٢٠١٠). سفيرة فوق العادة لمؤسَّسة ناجي نعمان للثقافة بالمجَّان (٢٠١١).

مُقتَطَفٌ من دراسةٍ عِلميَّة

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

أودُّ أن أشيرَ، في البداية، إلى أنَّ موضوعَ التَّأثيرات العربيَّة في الحضارة الأورُپـــيِّـيَّة موضوعٌ كبيرٌ لا تُمكنُ إحاطةُ كلِّ جوانبه وحيثيَّاته إلاَّ في إطار بحوثٍ ودراساتٍ وافيةٍ وأكاديميَّة مُحكَمَة؛ ولهذا، سأعملُ على إبراز هذه التَّأثيرات في بُعدها العامِّ والشُّموليّ، وفي نقاطها الَّتي تبرزُ على الحضارة المعاصرة، بل وسأشيرُ إلى التَّخصُّص الَّذي اختَرتُ التَّبَحُّرَ فيه منذ سنواتٍ طوال، على أن أُشيرَ لبعض هذه التَّأثيرات في بُعدها الشُّموليِّ والعامِّ أيضًا، نظرًا للعامل الزَّمنيِّ الَّذي حتَّمَ ذلك، على أن أعودَ في البحث والتَّنقيب في الموضوع في إطار دراساتٍ أخرى أعتزمُ القيامَ بها قريبًا.

من العلوم والميادين الَّتي تأثَّرَ بها الأورُپـــيُّون، نجدُ العلومَ بفروعها، والآداب، والفنون، وغيرها... ولعلَّ من أبرز التَّأثيرات الشَّرقيَّة في هذا الشَّأن، الأشعارُ العربيَّة من زجلٍ وموشَّحات، وأشهرُها موشَّحات ابن قزمان الأندلسيّ الَّذي أخذَ عنه شاعرٌ عربيٌّ اسمُه "غيوم"؛ كما أُثبتَ أنَّ الشَّاعرَ الإيطاليَّ دَنْتِه قد استمدَّ معظم أفكاره في "الكوميديا الإلهيَّة" من مصادرَ إسلاميَّة، وفي مقدِّمتها "قصَّة معراج النَّبيّ" الَّتي تُرجمَت إلى عدَّة لغات منذ القرن الثَّالث عشر للميلاد، ومن "رسالة الغفران" للمعرِّي. ومن تأثيرات العرب في الشِّعر الأورُپـــيِّ أيضًا ظهورُ التّروبادور الَّذي

اقتبسَ عن الأدب العربيِّ، فيما أثبَتَ عديدون أنَّ غزلَ الفروسيَّة الَّذي انتشرَ في ألمانيا كان متأثِّرًا إلى حَدٍّ كبيرٍ بأشعار التّروبادور الَّتي تَغنَّى بها فرسانُ فرنسا.[١]

وما يدلُّ أيضًا إلى أنَّ شعرَ التّروبادور متأثِّرٌ بالشِّعر العربيّ، هو أنَّه يمتازُ بالصَّقل وقوَّة الخيال، فضلاً عن عفَّته، إلى درجة أنَّ مَثلَه الأعلى هو الزَّوجة الوَفيَّة المِثاليَّة.[٢]

وقد تأثَّرتِ القصَّة الأورُبِّيَّة بدورها بما كان عند العرب من فنون القصص في العصور الوسطى، وهي المقاماتُ وأخبارُ الفروسيَّة وأمجادُ الفرسان ومغامراتُهم لإحراز المجد، وعلى سبيل المِثال: "رسالة حَي بن يقظان" لابن طُفَيل الَّتي تأثَّرَ بها دانييل ديغو، فكتبَ قصَّةَ "روبنسون كروزو"، بالإضافة إلى عددٍ كبيرٍ من القصص والمسرحيَّات. كما نقلَ من العربيَّة إلى الإسبانيَّة بطرس ألفونس مجموعةَ قصصٍ هنديَّةٍ عُرفَت باسم "التَّعاليم الكنيسيَّة"، كما تُرجمَت من العربيَّة إلى الإسبانيَّة مجموعةُ القصص (الهنديَّة أو الفارسيَّة) المعروفةُ باسم "كليلة ودمنة"، قبل أن تُترجَمَ إلى الفرنسيَّة سنة ١٣١٢.

كما أنَّ شكسبير اقتبسَ من الكتابات العربيَّة "ألف ليلة وليلة" موضوعَ مسرحيَّته "العبرة بالخواتم"، وترجمَ منها أيضًا لسنغ الألمانيُّ مسرحيَّتَه "ناثان الحكيم".[٣]

وأمَّا في المجال الفلسفيّ، فقد وصلَ التَّأثيرُ العربيُّ إلى حَدٍّ لم يعُدْ للأورُبِّيِّين فيه أن يتجاهلوا قوَّتَه وخطورتَه، فأورُبَّا لم يكُنْ عندها سبيلٌ آخرُ لتحصيل معرفة الفلسفة الإغريقيَّة، لأنَّ التَّرجمات اللاَّتينيَّة لكتب أفلاطون وأرسطو الَّتي كان يستعملُها الأورُبِّيُّون آنذاك لم تتمّ عن طريق الأصول الإغريقيَّة مباشرة، بل عن ترجماتٍ عربيَّةٍ سابقةٍ ومذيَّلَةٍ بشروح المسلمين من ذلك العصر، من مِثل ابن سينا وابن رشد.[٤]

ولعلَّ أهمَّ المجالات الَّتي أخذَ عنها الأورُبِّيُّون عن العرب في الميدان الفنِّي، كانت الموسيقى، والَّذي أوفيتُه نصيبًا وافرًا في أبحاثي كما في دراسةٍ سابقةٍ لي، إذ أدخلَ العربُ آلةَ العود إلى الموسيقى الغربيَّة، كما أدخلوا الدبابة الجديدة وأنواعًا جديدةً من النَّاي. وفي قوَّة هذا التَّأثير الَّذي عمَّ لبَّ الموسيقى العربيَّة، حاولَ الأورُبِّيُّون، منذ القرن الرَّابعَ عشرَ وحتَّى القرن العشرين،

---

[١] - *Draper, A history of intellectual developement of Europ, vol 2, pp 33-34.*

[٢] أحمد علي، المرجع السَّابق، ص ٢٣٠.

[٣] عبَّاس محمود العقَّاد، المرجع السَّابق، ص ٥٨.

[٤] رونيه كينون، تأثير الحضارة الإسلاميَّة في الغرب، مجلَّة سماوات، ص ٢٥.

استبعادَ الآلات العربيَّة، لكنَّ ذلك لم يحصُلْ بالكُلِّيَّة حتَّى الآن[٥]. ولعلَّ ما يشهدُ على هذا التَّأثير المُصطلحاتُ العربيَّةُ الموسيقيَّةُ الَّتي نقلَها الأورُبِّيُّون، مثل *iute* الَّتي نُقلَت من العود، و*caitar* المأخوذة من القيثارة، و*naker* المنقولة من النقارة، و*kanon* الَّتي أخذوها عن آلة القانون.

كما أنشأ المسلمون بالأندلس، في عهد عبد الرَّحمن الثَّاني، مدرسةً موسيقيَّةً كان يعلِّمُ فيها زرياب، العالِمُ المتحضِّر، عمليًّا ونظريًّا، فنَّ الغناء واستعمالَ أدوات الموسيقى.[٦]

وكما أسلَفت، فقد أدخلَ العربُ آلاتٍ موسيقيَّةً عديدة، فصَمَّمَ الفارابي في النّصف الأوَّل من القرن العاشر آلةَ القانون، وهي البيانو في ما بَعد. كما تذهبُ المُستَشرقةُ الألمانيَّةُ إلى أنَّ المقاطعَ الصُّولفائيَّة : دو *"do"*، ري *"re"*، مي *"mi"*، فا *"fa"*، صول *"sol"*، لا *"la"*، سي *"si"*، والَّتي يُقالُ إنَّ الموسيقيَّ الإيطاليَّ جيدفون أرينزو قد أخذَها عامَ ١٠٢٦ عن نشيد يوحنَّا، يُحتَمَلُ جدًّا أن تكونَ مأخوذةً عن الأحرف العربيَّة : دال، راء، ميم، فاء، صاد، لام، سين.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ التَّأثيرات العربيَّة الإسلاميَّة في الحضارة الأورُبِّيَّة الَّتي قلَّت في بعض الميادين، بخاصَّةٍ في الميادين الدِّينيَّة واللُّغويَّة والفنِّيَّة، وضُحَت على نحوٍ كبيرٍ في ميادينَ أخرى في العلوم والحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والأخلاقيَّة والأدبيَّة خلال احتكاك العرب والمسلِمين المباشر بالأورُبِّيِّين عبرَ طرقٍ وقنواتٍ ووسائلَ أهمُّها الأندلس وصقلِّيَة والحروب الصَّليبيَّة. وبعد أنِ استنبطَ العربُ كلَّ المقوِّمات الحضاريَّة القديمة، في حضارات مصر واليونان وفارس، عن طريق التَّرجمة، فالاجتهاد فيها وتطويرها، وأعطوها الأورُبِّيِّين، حلَّ الأثرُ الكبيرُ في خروج العالم الأورُبِّيِّ من ركودٍ لازمَه قرونًا، كما في نهضةٍ حضاريَّةٍ شملَت كلَّ الميادين الحضاريَّة والاجتماعيَّة كما لم تعرفِ البشريَّةُ من قبل. وقد جعلَ ذلك الأورُبِّيِّين يتقدَّمون، في حركةٍ دائمةٍ إلى اليوم، بخلاف العالم العربيِّ الإسلاميِّ الَّذي ما فَتِئَ في أخطبوط أسفل دَرك التَّخلُّف.

---

[٥] محمود قاسم، مجلَّة العربيّ، العدد ٤١٢، ١٩٩٣, ص ٢٠٦.

[٦] زيغريد، المرجع السَّابق، ص٣٩١.

سنا سبَيتي — Sana Sbeity

Young Lebanese poetess, born in 1988 (Kfarsir – Nabatieh – Lebanon). Concerned by culture, with several writings.

Jeune poétesse libanaise, née en 1988 à Kfarsir (Nabatieh – Liban). Intéressée à la culture, avec plusieurs écrits.

شاعِرَةٌ لبنانيَّةٌ شابَّة، من مواليد كفر صير (النَّبطيَّة – لبنان) عامَ ١٩٨٨. تهتمُّ بالأنشِطَة الثَّقافيَّة، ولها كِتاباتٌ مختلِفة.

خَدَعتَني

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

خَدَعتَني...
لم أدرِ أنَّ عينَيكَ شِباك
خَدَعتَني...
لم أدرِ أنَّكَ في الحبِّ ملاك
خَدَعتَني وخَدَعتَني مرَّات...

لِمَ لمْ تُخبِرْني أنَّكَ الصيَّاد
وأنِّي، أنا الضَّحيَّة؟
لِمَ لمْ تقُلْ أنْ معكَ
سهامٌ وبندقيَّة؟
لِمَ، أيا فارسُ، ترجَّلتَ
من على الحصان
وغادرتَ المكان
فأخذتَني معك
وتركتَ البقيَّة؟!

صابر الحباشة **Saber Al-Habacha**

Tunisian researcher in Arabic language, born in 1975 (Tunisia), living in Bahrain. With several published writings and papers.

Chercheur tunisien en matière de langue arabe, né en 1975 (Tunisie), vivant au Bahrein. À son actif s'inscrivent des écrits et des études.

باحثٌ في اللُّغة العربيَّة، من مواليد عام ١٩٧٥ (تونس). يعيش في مملكة البَحرَين، يُدرِّسُ العربيَّة ويبحثُ في شؤونها وشجونها. له مؤلَّفات عديدة.

النَّحو والمَنطِق: تنافُرٌ أم تظافُر؟
دلالةُ النَّحو ونحوُ الدَّلالة: هل تدورُ اللُّغةُ على ذاتها؟

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

النَّحو والمَنطق: تنافُرٌ أم تظافُر؟

من المَعروف أنَّ قصَّة المناظرة الشَّهيرة التي أوردها التَّوحيديُّ في اللَّيلة الثَّامنة من "الامتاع والمؤانسة"، والَّتي جرَت بين أبي سعيد السّيرافي النَّحويّ ومتَّى بن يونس المنطقيّ سنة ٣٢٦ هـ، قد اتُّخذت شاهدًا على انفراط العقد بين هذين العِلمَين في سياق الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، ممَّا جعلَ المنطقَ يبدأُ، ويظلُّ، غريبًا[٧]. فقد هيمَنَتِ الرُّؤية النَّحويَّةُ على المجال التَّداوليِّ لهذه الحضارة على حساب المَنطق.

غيرَ أنَّ من الدَّارسين المحدثين مَن أعاد قراءة هذه المناظرة قراءةً تأويليَّةً تفتحُ الباب أمام تعليلٍ طريفٍ لما تُوُهِّمَ من تنافرٍ أنطولوجيٍّ بين النَّحو والمنطق غذَّاه اختلافُ الأصول المعرفيَّة الَّتي انغرسَ في تربتها كلٌّ منهما. وكأنَّ الرُّؤية التَّقليديَّة السَّائدة أنْ لا تعايشَ طبيعيًّا بين العِلمَين، بل لا بدَّ من صراعٍ بين النُّحاة والمناطِقَة، ولا مجالَ لأنْ يَقفا على أرضٍ واحدة، فالتَّنازعُ بينهما وُجوديٌّ ثابت.

---

[٧] طبعًا، هذه نظرة "قُصوَويَّة" لا نتبنَّاها، وإن كان ثمَّة مَن يقول بها، وبخاصَّةٍ مَن يدَّعي أنَّ "الأعرابيّ هو صانعُ العالَم". وأمَّا بعض الباحثين الآخرين فيرَون أنَّ حركة "التَّرجمة الَّتي رعاها المأمون قد شكَّلت نقطة تحوُّل في سَير الثَّقافة الإسلاميَّة بكلِّ فروعها"؛ أنظُر: تمام حسان الأصول، دراسة إبيستمولوجيَّة لأصول الفكر اللُّغويّ العربيّ، دار الثَّقافة، المغرب، ط ١، ١٩٨١، ص ٥٦.

تقومُ هذه القراءة الجديدة لأبعاد المُناظرة المذكورة على فحص الأُسس الَّتي انطلقت منها موجباتُ الافتراق وتعزَّزت نقاطُ الاختلاف. وتتلخَّص القراءة الجديدة في طرح تساؤلٍ عميق: "أنحن على يقينٍ من أنَّ الموضوعيَّة الصَّادقة الَّتي بها تُتناول قضيَّةُ العلاقة بين النَّحو والمنطق موضوعيَّةٌ لم ترِث عند هذا أو ذاك، ومن دون إرادة، موقفًا عقائديًّا قديمًا، أو ردَّ فعلٍ ضدَّ هذا الموقف؟"[٨]

يقومُ هذا التَّساؤل على رغبة إذابة ثلج الرَّواسب الفكريَّة الَّتي تحكَّمت في احتراز العرب من المنطق نظرًا إلى اعتبارهم إيَّاه:

١- إمَّا دخيلاً لا غناء منه ولا حاجة لنا إليه.

٢- وإمَّا مُستقًى من النَّحو اليونانيّ، ومن ثَمَّ فإنَّ الرُّكونَ إليه وتحكيمَه في النَّحو العربيِّ يعني "أَغْرَقَة" هذا الأخير وإفقادَه مناعتَه الخاصَّة وصلابتَه المنهجيَّة الَّتي ما انفكَّت تتدعَّم عبر أجيال من النُّحاة منذ الخليل بن أحمد (ت. ١٦٠هـ أو ١٧٠هـ) إلى آخر الشُّرَّاح في عصور الانحطاط.

فعدمُ التَّوافق بين النِّظامَين، النَّحويِّ العربيِّ والمنطقيِّ اليونانيّ، كان بمثابة المصادرة العامَّة الَّتي توارثَها الخلفُ عن السَّلف، وإن عبَّروا عنها بطرق مختلفة، بعضها مباشر سجاليّ، والبعض الآخر ضمنيّ مُغَلَّف بمسحة موضوعيَّة علميَّة رقيقة.

غير أنَّ إعادة النَّظر والتَّمحيص في المسألة، على النَّحو الَّذي يُمكن أن نستأنفَه – انطلاقًا من تساؤل الشَّريف – قد يؤدِّي بنا إلى العزوف في البداية عن الآراء الجاهزة، نقدًا للمسلّمات القبليَّة الَّتي تقوم على مفاضلات ومقارنات إيديولوجيَّة وعنصريَّة بين العلوم واللُّغات. ولا بدَّ في هذا السِّياق من رفض القراءات الَّتي تنقدُ المنطقَ الأرسطيّ، لأنَّه ظلَّ رهين اللُّغة الإغريقيَّة، فكانت مقولاته هي تقريبًا مقولات اللُّغة الإغريقيَّة، لا لشيء إلاَّ لأنَّ مثل هذا الفهم التَّبسيطيِّ يعتبر الانفصال بين المنطق والنَّحو من المسلّمات البديهيَّة، فمتى تشابكَ العِلمان، عُدَّ ذلك طعنًا في المنطق، باعتبار أنَّ هذا الأخير يطمح إلى اكتساب البُعد الكونيّ والمَنزَع الكُلِّيّ، بخلاف النَّحو الإغريقيّ (وكلُّ نحوٍ لغة طبيعيَّة، في الواقع!).

وليس من العَيب – إذا قرأنا المسألة من منظار نظريَّات التعقُّد الَّتي جاء بها إدغار موران *(Edgar Morin)* – أن نقرأ العلاقة بين النَّحو والمنطق وَفقَ تاريخ متراكم من سوء الفهم المتبادَل، تقطعه أحيانا رؤى وحدوس خلاَّقة لمناطقة – نحاة نأوا عن الانفصال الموهوم وتجلت إبداعاتهم في

---

[٨] الشَّريف، محمَّد صلاح الدِّين، ٢٠٠٢، الشَّرط والإنشاء النَّحويّ للكون: بحث في الأُسس البسيطة المولّدة للأبنية والدَّلالات، جامعة منوبة، كلِّيَّة الآداب، سلسلة اللِّسانيَّات، مج ١٦، تونس، ج ٢، ص ١١٨٨.

بناء النَّحو الكُلِّيِّ الَّذي نجدُ بداياته مع مدرسة بور روايال ***(port-royal)*** المنطقيَّة النَّحويَّة، والَّتي عاد إليها اللِّسانيُّون المُحدثون لتأصيل مشاريع النَّحو الكُلِّيّ، مثلَ تْشُمْسكي ***(Chomsky)***.

فإذا عدنا إلى سياق المناظرة، تبيَّن لنا أنَّها تتنزَّل في إطار تزاحم العلوم على اكتساب قصب السَّبق في المنظومة المعرفيَّة الَّتي اكتملت في القرن الرَّابع للهجرة. فقد رغب النُّحاة في الاستيلاء على آلة تحليل رأس المال الرَّمزيِّ الَّذي انبَنَت عليه الحضارة الإسلاميَّة، ألا وهو النَّصُّ القرآنيّ. ونازعَهم المناطِقَة هذا الدَّور، ففشلوا في مقاسمتهم إيَّاه بعد أن يئِسوا من أن يظفروا عليهم، وهنا تأتي المُناظرة لتكريس غلبة الرُّؤية النَّحويَّة الحاصلة بعد. لا يجدُ الباحث صعوبةً في تَمَحُّل تبريرات إيديولوجيَّة لهذه الغلبة، غير أنَّ النَّظر التَّاريخيَّ والإبستيمولوجيَّ قد يسعفنا بملاحظة خطيرة، تتعلَّق بولادة النَّحو مكتملاً، وهو ما لم يكُن للمنطق حظٌّ شبيهٌ به، ولذلك شرعَتِ الهُوَّةُ تتَّسعُ بينهما وتتعزَّزُ بكتب نحويَّة حاسمة، لم تضارعها – في فترتها – كتب منطقيَّة شوَّشت عليها احتلالها صدارة الاهتمام في المنظومة المعرفيَّة الإسلاميَّة. وتزامن ظهور العلوم الأصول: أصول الفِقه وأصول النَّحو وأصول الدِّين [عِلم الكلام]، وظلَّ المنطق آلةً تُستعمل وتُذمّ، وعلى الرَّغم من اشتراكه مع النَّحو في كونهما عِلمَين آلتَين فقد ارتقى النَّحو في سلَّم الأولويَّات وظلَّ المنطق حبيسَ أُطُرٍ ضيِّقة. وأسهم نظام التَّدريس والمؤسَّسة التَّعليميَّة في إفساح المجال لتغليب النَّحو وتغييب المنطق أو يكاد. وقريبًا من هذا المعنى يقول الشَّريف: "فالنَّحو عند المسلم هو الَّذي يحدِّد القواعد الأوَّليَّة المكوِّنَة للقول الحامل للحقيقة. ومن الطَّبيعي في أمَّةٍ هذا اعتقادُها، ألاَّ تترك للصِّناعة المنطقيَّة الَّتي تدَّعي تمثيل العقل أن تكون **مجاوزة للنَّحو**[٩]. ومن هنا جاء الدَّور الأساسيُّ الَّذي أناطَه المفكِّر المسلم بالنَّحو فهو النَّسق الَّذي "يحدِّد القواعد الأوَّليَّة المكوِّنة للقول الحامل للحقيقة."[١٠]

فلا يُمكن أن نفهم أبعاد موقف السِّيرافي في المناظرة من دون التَّعريج على الرِّسالة الحضاريَّة الَّتي تحمّلها بوصفه، على حدِّ عبارة الشَّريف، نحويًّا مكلَّفا "بالدِّفاع عن الأمَّة بالدِّفاع عن النَّحو ضدَّ المنطق"[١١]. وبذلك يكون النَّحو لا عِلمًا وصفيًّا بل معقلاً للهويَّة ورمزًا للانتماء، ومن هنا نرى أنَّ البحث في تطوير النَّحو وتحديثه قد لا يدورُ في فلك التَّأهيل التِّقنيِّ لهذا القطاع كي يواكبَ الثَّورة المعرفيَّة الحديثة، بل قد يكون متَّجهًا نحو تضمين أهداف فكريَّة غير منتمية إلى صميم العِلم.

---

[٩] الشَّريف، محمَّد صلاح الدِّين، ٢٠٠٢، الشَّرطُ والإنشاءُ النَّحويُّ للكون، ج ٢، ص ١١٨٨. التَّشديد من عندنا.

[١٠] المرجع نفسه، الصَّفحة نفسها.

[١١] المرجع نفسه، ص ١١٨٩.

ونودّ الإشارة إلى أنَّ بعض الباحثين قد بيَّن في معرض حديثه عن مواقف الدَّارسين من نشأة النَّحو أنَّ بعض المستشرقين يزعم "أنَّ النَّحو العربيَّ استعار من المنطق الأرسطُطاليسيِّ التَّقسيم الثُّلاثيَّ للكلام والتَّمييز بين الجنس والآخر، ومفاهيم من قبيل الظَّرف والحال، وأفكارًا حول الأزمنة والفاعل"[١٢]. وكما لا يخفى فإنَّ الحديث عن التَّأثُّر بالمنطق الأرسطيِّ في زمن نشأة النَّحو العربيّ، فيه شيءٌ من المبالغة. ويشير الودرني إلى ما يُمكن أن نصف به موقفَ هذا المستشرق، من وقوع في ضربٍ من التَّنافي، إذ أقرَّ "في الوقت نفسه بأنَّ منطقهم [أي النُّحاة العرب] مُباينٌ تمامًا لمنطق الفلاسفة"[١٣]، ويمكن أن نستدلَّ برأي ابن تيميَّة حول تأخُّر زمن اعتماد النُّحاة الاصطلاحات والحدود المنطقيَّة، يقول: "إنَّ النُّحاة لمَّا دخل **متأخِّروهم** في الحدود ذكروا للاسم بضعة وعشرين حدًّا وكلُّها معترضٌ عليها على أصلهم"[١٤].

وثمّة موقفٌ آخرُ يقع على طرفَيْ نقيضٍ من الموقف السَّابق، ينفي أصحابُه فيه "أيّ أثَر إغريقيٍّ في النَّحو العربيّ، وذلك بالتَّركيز على عمق الرَّوابط القائمة بين عِلمَي الفِقه والنَّحو في مجالَي المنهج والمصطلح دلالةً على نشأتهما نشأةً عربيَّةً خالصة. هذا، بالإضافة إلى ما يُوجَد من تباين صريح بين المصطلح الَّذي توخَّاه سيبوَيه في كتابه والمصطلح الَّذي راجَ عند المُترجِمين الَّذين نقلوا عن أرسطو أفكارَه النَّحويَّة"[١٥].

ولعلَّ المستشرقَ الفرنسيَّ جيرار تروپو ***(Gérard Troupeau)*** قد جاء برأي وسط فيه ضربٌ من "الإنصاف" حيث قال "ودون أن ننفي أنَّ التَّأثير الَّذي كان يفرضه ضرورة المنطق الأرسطاليسيّ على نُحاة بغداد بداية من القرن ٤ هـ / ١٠م، يمكن أن نعتبر أنَّ النَّحو تشكَّل بمنأى عن أيِّ تأثير أجنبيٍّ في الوقت نفسه الَّذي تشكَّلت فيه علومٌ أخرى إسلاميَّة مثل التَّفسير والفِقه، والَّتي نمَت خلال النصف الأول من القرن ٢هـ / ٨م في مركزين ثقافيين كبيرين بجنوب العراق هما البصرة والكوفة"[١٦].

---

[١٢] نقلاً عن الودرني، أحمد، ٢٠٠٤، قضية اللَّفظ والمعنى ونظريَّة الشِّعر عند العرب، من الأصول إلى القرن ٧ هـ / ١٣ م، بيروت، دار الغرب الإسلاميّ، ط ١، ج ١، ص ١٢١. والملاحظ أنَّ هذا الرَّأي كتبه صاحب مدخل "نحو" في دائرة المعارف الإسلاميَّة، الطَّبعة الفرنسيَّة، ص ٩١٤.

[١٣] نفسه.

[١٤] ابن تيميَّة، الرَّدّ على المنطقيِّين، دار المعرفة، بيروت، ص ٨. (التَّشديد لنا)

[١٥] نفسه.

[١٦] نفسه.

ويرى تمام حسَّان "أنَّ العرب حتَّى وإن فكَّروا تفكيرًا منطقيًّا في قضايا النَّحو والاستدلال الفِقهيّ، فإنَّ ذلك من وَحي المنطق الطبيعيِّ لا المنطق الصّوريِّ بالمعنى الأرسطيّ، لأنَّ المنطق الطَّبيعيَّ هو نتاج تكوين العقل الإنسانيِّ بوجه عامّ"[١٧].

*** النَّحو والمنطق أو اللَّفظ والمعنى؟**

"قال أبو سعيد: [...] أسألك عن حرف واحد، وهو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميِّزة عند أهل العقل؛ فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الَّذي تدل به وتباهي بتفخيمه، وهو الواو ما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه أو وجوه؟ فبهت متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إليه، وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عثر النحويّ بالمعنى فبالعرَض والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى."[١٨]

نلاحظ أنَّ جواب متَّى قد أبان عن نظرة ثنائيَّة حاسمة، نظرة تفصل المعنى عن اللَّفظ فصلاً، وتجعل أحدهما بمعزل عن الآخر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهي تُنشئ مفاضَلة بين اللَّفظ والمعنى فتنتصر لهذا الأخير.

ومعلوم أنَّ عبد القاهر الجرجانيّ (ت. ٤٧٦ هـ) قد بيَّن في مصنَّفاته، ولاسيَّما "دلائل الإعجاز"، خطأ القول بالفصل بين اللَّفظ والمعنى، ومن ثَمَّ فلا فائدة تُرجى من المفاضلة بينهما، باعتبار أنَّ لكلٍّ طرف دورًا في القول ولا يمكن أن نجنيَ من عزل أحدهما عن الآخر عزلاً أيديولوجيًّا إلاَّ سوء الفهم والانتصار للمذهب الَّذي نتبنَّاه من دون دليل علميٍّ مُقنِع. ولعلَّ النَّظر في مقترحات اللِّسانيَّات الحديثة في تمثيل الأقوال يوقفنا على عودة الوئام بين المستوَيَين، المنطقيِّ والتَّركيبيّ، في تقاسم الأدوار عند تحليل الجمل:

فالمستوى السَّطحيّ يشتمل على البنية الصَّوتيَّة، وأمَّا المستوى العميق فيتكوَّن من البنية الدَّلاليَّة. وبذلك لا يمكن تخليص العلامة اللِّسانيَّة من دالِّها أو مدلولها فهما متلازمان تلازُمَ الوجه والقفا.

بل إنّ البحث عن نحو كلّيّ، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه، استوجب استنفار النظريتين النحوية والمنطقية لتحقيق هذا الهدف، وقد عززت العلوم الحاسوبية الحديثة ضروب التعاون بين هذه العلوم

---

[١٧] نفسه، نقلاً عن تمام حسَّان، الأصول، دراسة إبيستمولوجيَّة لأصول الفكر اللُّغويِّ العربيّ، دار الثَّقافة، المغرب، ط ١، ١٩٨١، ص٥٣-٥٤.

[١٨] أبو حيَّان التَّوحيديّ، الإمتاع والمؤانسة، تصحيح وضبط أحمد أمين وأحمد الزَّين، بيروت، المكتبة العصـــريَّة، ١٩٥٣، اللَّيلـــة الثَّامنة.

المترابطة، فضلاً عن العلوم المعرفيَّة المجاورة لها كالرِّياضيَّات والمعلوماتيَّة وعِلم الأعصاب وعِلم النَّفس المعرفيّ... في إطار معالجة اللُّغة الطَّبيعيَّة معالجةً آليَّةً على نحوٍ خاصّ.
يُمكنُ، بهذا المعنى، الحديثُ عن خصومة قديمة – ماتت تاريخيًّا – بين النَّحو والمَنطق، استُعيض عنها بالتَّعاون العابر للاختصاصات العلميَّة، وهو من أهمِّ سمات المعرفة العلميَّة الحديثة.

دلالةُ النَّحو ونحو الدَّلالة: هل تدورُ اللُّغةُ على ذاتها؟

يقولُ أحمد فارس الشّدياق، في "السَّاق على السَّاق في ما هو الفارياق":
"إنَّ كلَّ حرفٍ يختصُّ بمعنى من المعاني دون غيره، وهو من أسرار اللُّغة العربيَّة الَّتي قلَّ مَن تنبَّه لها".

إنّ اللُّغة، إذ تنعكسُ على ذاتها، إنَّما تؤدِّي وظيفةً لا يسعُ سائرَ الأنظمة العلاميَّة أداؤُها. فاللُّغة لا تكتفي بدور الوسيط بين الإنسان وسائر الأنظمة العلاميَّة المحايثة لها، بل هي ترتدُّ على نفسها في ضربٍ من التَّجريد المضاعف. فكيف للُّغة أن تستعير أدواتِها لتقرِّبَ ذاتَها؟ وهل إنَّ الوصولَ بالظَّاهرة اللُّغويَّة إلى مصافِّ الدَّرس العلميِّ يمنعُها من التَّنكُّب عن "وهم الوصفيَّة"[١٩]؟ أي هل تبقى

---

[١٩] "وهم الوصفيَّة" *(illusion du constatif)* مصطلح استعملَه جون لنشو أوستين *(J.L.Austin)*، فيلسوف أمريكي ينتمي إلى الفلسفة التَّحليليَّة (وُلد سنة١٩١١ وتوفِّي سنة ١٩٦٠) في كتابه "كيف نصنع أشياء بالكلمات؟"، وذلك في إطار طرحه نظريَّتَه في الأعمال اللاَّقوليَّة حيث يجدُ أنَّ ثنائيَّة الصِّدق والكذب الَّتي تحكمُ ما عُدَّ من قبيل الإخبار وتقرير حالة الأشياء في الكون، إنَّما هي ثنائيَّة غير دقيقة شواذُّها كثيرة، لذلك تجاوزها إلى ثنائيَّة الإنشاء الأوَّليّ/الإنشاء الصَّريح.
غير أنَّ توظيفنا لهذا المصطلح ("وهم الوصفيَّة") تمَّ على أساس التَّأمُّل في اللُّغة، في وضعيَّة الخطاب كما فعلَ أوستين *[Austin]*، أي في اللُّغة اليوميَّة الحيَّة المَعيشة، ولكن على أساس التَّأمُّل في نظام اللُّغة في إحالته على نفسه ممَّا قد يُؤدِّي إلى التَّسلسل، ذلك أنَّ وصف اللُّغة لا يكون إلاَّ باللُّغة، وفي استعمالنا لهذا المصطلح حيادٌ عن مجاله في السِّياق الَّذي استعمله فيها أوستين، يجعلُنا نميلُ في ضربٍ من الرَّيبيَّة الَّتي نرجو أن لا تكون هدَّامة، إلى اعتبار وصف اللُّغة لذاتها غير مطابق لحقيقتها وكُنهها ممَّا يغذِّي القول بـــ "خطر وقوع الالتباس بين اللُّغة وما وراء اللُّغة والدَّور والتَّسلسل، وذلك باعتبار أنَّ السِّمات يقع إظهارها بعبارات معجميَّة تحتاج هي أيضًا إلى تحديد مضامينها وذلك إلى ما لا نهاية له".

أُنظُر:
Catherine Kerbrat Orecchioni: Article (Sémantique), in Encyclopaedia Universalis –Paris – 1990 - p.p. 773-779.
(ترجمة أستاذنا شعبان بن بو بكر:" مجلَّة اللِّسانيَّات" العدد ٣ – صيف ١٩٩٧ – كلِّيَّة الآداب بمنوبة، تونس، ص.ص. ٤٠ – ٥٩).

الوظيفة الميتالُغويَّة على الاعتقاد بأنَّ اللُّغة تشفُّ عمَّا خلفها في ضربٍ من الانسجام والاطِّراد والإحكام، أم إنَّ فوضى من المعاني وشتاتًا من الدَّلالات تكسر مسارات التَّواصل بين اللُّغة وذاتها من جهة أخرى؟ وما هي الضَّوابط والمعايير الَّتي تُوقفُنا على مثل هذه الانزياحات، فهل نحن نسكُنُ اللُّغةَ طوعًا واختيارًا ، أم إنَّ أُلْفَتَنَا بها هي الوجهُ الآخرُ لغُربةٍ قسريَّةٍ تجاه هذه الآلة العجيبة المتحكِّمة في جميع القِيَم والأعمال الإنسانيَّة؟

لعلَّ تأمُّلَ هذه المعضلات الفكريَّة والواقعيَّة يُغرينا بالبحث الواعي عن الشّرَك الَّذي تُوقعُ فيه اللُّغةُ مَن ينصِبُ لها "شِراكَ" العِلمِ و"صنَّارةَ" المنهج، فتكشف له عن قناع الانتظام والإحكام وهي في الواقع كونٌ يتمطَّطُ واقعيًّا ومادِّيًّا ويتوالدُ فكريًّا ونظريًّا.

أليس عجزُ الإنسان بيولوجيًّا وفيزيولوجيًّا عن أن يُحيطَ بكلِّ الإنجازات الممكنة للُّغة، من شأنه أن يؤدِّيَ إلى عجزٍ مُوازٍ عن اختبار الوظيفة الميتالُغويَّة للُّغة؟

لعلَّه من المُثير أن نثيرَ هذه التَّأمُّلات اللُّغويَّة بعودةٍ إلى نصوصٍ من التُّراث اللِّسانيِّ (مدوّنة علوم التَّفسير والإعجاز بخاصَّة) احتوَت ومضات يمكنُ اتِّخاذُها أرضيَّةً فكريَّةً على أساسها يتمُّ التَّوسُّع في النَّظر من دون التَّقيُّد بها، فما هي بالنِّسبة إلينا إلاَّ مادَّة نصِّيَّة هي مثار أسئلة لسانيَّة خطيرة، فنتعامل معها باعتدال، فلا نُسقط عليها إجاباتِ اللِّسانيَّات المعاصرة، كما لا نتجاهلها أو نغُضّ عنها الطَّرف، بل نستكشف مواطنَ الطَّرافة فيها ونستثمرها في البحث المعاصر...

فقد أشار فخر الدِّين الرَّازي (ت. ٦٠٦ هـ) – من دون تبسُّطٍ ولا تدقيق – إلى الوظيفة الميتالُغويَّة للُّغة، وذلك بقوله: "وقد تكون مدلولاتُها (أي الألفاظ) أيضًا ألفاظًا كقولنا: اسم وفعل وحرف وعامّ وخاصّ ومُجمَل ومُبَيَّن، فإنَّ هذه الألفاظ أسماء ومسمَّياتها أيضًا ألفاظ"[٢٠].

ففي هذا النَّصِّ نتبيَّنُ وَعيَ الرَّازي بأنَّ اللُّغةَ تنعكسُ على ذاتها، فتكون واصفةً موصوفةً في الآن عَينه. وإن اقتصرَ في أمثلته على الأسماء الَّتي تكون مسمَّياتها كيانات لغويَّة، أي أنَّ الدَّالَّ لُغويٌّ والمَدلولُ لُغويٌّ والمرجعُ لُغويٌّ بخلاف النَّوع الآخر من الألفاظ الَّتي يكونُ مرجعُها غيرَ لُغويّ، فإنَّ أمثلةً أخرى لم يذكرْها الرَّازي ولكنَّها تدخل في النَّوع عَينه مثل الدّوال(ب)، (في)، (ك)، وهي أصوات متكوّنة من حرفٍ وحركة، تدلُّ إلى حروف جرٍّ تفيدُ معاني شتَّى، ولكنَّها في حدِّ ذاتها ليست لها إحالات خارج اللُّغة، بالإضافة إلى أنَّها، في انخراطها في عالم اللُّغة، ليست ذات "أهلِيَّة كاملة" كسائر المورفيمات، فهي لا تستجيب لعدَّة مقولات صرفيَّة واشتقاقيَّة ونحويَّة كمقولات الجنس والعدد والضَّمير والزَّمــن والإعــراب والبناء والجمود... وعلى الرَّغم من هذا "القُصــور

---

[٢٠] فخر الدِّين الرَّازيّ: "التَّفسير الكبير"، ج١ – ص٢٧.

التَّكوينيّ" في هذه الوحدات اللُّغويَّة، فإنَّها تؤدِّي وظائفَ جمَّة، فهي تُسهمُ في إنشاء مركبات نحويَّة دالَّة، من ذلك ما سمَّاه الجرجاني، عبد القاهر (ت. ٤٧١ هـ) "تعلُّق الحرف بهما (أي بالاسم والفِعل)"[٢١]. هذا التَّعلُّق ينقسم إلى ثلاثة أصناف:

أوَّلًا: وهي الحروف الَّتي تساعدُ الفِعلَ في عمله وتتمثَّلُ في حروف الجرِّ الَّتي يتعدَّى بواسطتها إلى مفعوله، أو في واو المَعِيَّة، فهي "تُعينُ الفِعلَ على عملِه النَّصبَ"[٢٢]، وكذلك نجدُ أداةَ الاستِثناء (إلاَّ)، فهي لا توقع النَّصب بذاتها و"لكن بواسطتها وعونٍ منها"[٢٣]، فهذا الصِّنف الأوَّل من الحروف يساعدُ الفِعلَ في العمل النَّحويِّ المتمثِّل في إيقاع النَّصب بالمفاعيل أو بأشباه المفاعيل، فكأنَّ الفِعلَ يعفُّ أو يعرضُ له عارضٌ يحوجُه إلى مثل تلك الحروف ليتمَّ له عملُه. وبذلك نفهمُ أنَّ الأصلَ في الأفعال إمَّا اللُّزوم أو التَّعدِّي بنفسها؛ وأمَّا التَّعدِّي بواسطة حرف جرٍّ ففرعٌ على التَّعدِّي بالفِعل عَينه، وليس صحيحًا القولُ إنَّ تعدُّدَ المفاعيل هو السَّببُ في استعانة الأفعال بحروف جرٍّ في إيقاع النَّصب بالمفاعيل.

ثانيًا: يُفردُ الجرجانيُّ لحروف العطف قسمًا خاصًّا، وذلك لأنَّ عملَها لا يقعُ مساعدًا للفِعل على عمل النَّصب، ولكنَّه يتَّصلُ بالأسماء، فيجري على المعطوف نفسَ حركة المَعطوف عليه الإعرابيَّة. وقد اقتصرَ الجرجانيُّ على حروف العطف، ولم يذكر حروفَ الاستِئناف، والحالُ أنَّه يمكنُ إدراجُها في هذا القسم أيضًا.

ولسنا نذهبُ إلى أنَّ عدم ذكره إيَّاها غفلة منه وسَهو، بل لأنَّنا نعلم أنَّه لا فرقَ بين العطف والاستئناف؛ كذلك، وإن اقتصرَ في أمثلته التَّوضيحيَّة لهذا القسم من الحروف على حروف العطف، فهذا يعودُ إلى نزعته التَّبسيطيَّة التَّوضيحيَّة، وما على القارئ إلاَّ أن يقيسَ على ذلك، فحرف الواو العاطف يمكنُ أن نقيسَ عليه (الفاء) و(ثمّ)، وما ذكره للواو فحَسب إلاَّ لأنَّها أُمُّ الباب في العطف.

ودليلُ قولنا إنَّ عبد القاهر لا يفرِّق بين العطف والاستئناف هو قوله "ولا يُعطف الخَبَرُ على الاستفهام"[٢٤]، ومعلومٌ أنَّه يستحيلُ أن تكونَ الجملةُ ذاتها خَبَريَّة استفهاميَّة في المَقام ذاته والسِّياق عَينِه، فلَــزِمَ أن يكونَ "العطفُ" في كلام الجرجانيِّ المقصود به عطف جملة على جملة، وهو مــا

---

[٢١] عبد القاهر الجرجانيّ: "دلائلُ الإعجاز"، تحقيق د. محمد التّنجي– ط١ – بيروت: دار الكتاب العربيّ – ١٩٥٥، ص ١٥.

[٢٢] المصدر نفسه، الصَّفحة نفسها.

[٢٣] المصدر نفسه، الصَّفحة نفسها.

[٢٤] الجرجانيّ: "دلائلُ الإعجاز"، تحقيق محمَّد رشيد رضا وغيره، ط ٥ – ص ١٨٠.

نصطلحُ عليه بالاستئناف، وإذا كان العطف والاستئناف عند الجرجانيِّ بمعنًى، اقتضى منَّا ذلك أن نقيسَ أحدَهما على الآخر، فيصحُّ في هذا ما يصحُّ في ذاك.

بل أكثر من ذلك، فإنَّ الجرجانيَّ يستعملُ في السِّياق ذاته مصطلحات: العطف، الرَّبط، الاستئناف، الوصل، يقول: و"اعلم أنَّ من شأن "إنَّ" إذا جاءت على هذا الوجه أن تُغنِيَ غَناء الفاء العاطفة مثلاً، وأن تفيد من ربط الجملة بما قبلَها أمرًا عجيبًا. فأنت ترى الكلام بها مستأنَفًا غير مستأنَف مقطوعًا موصولاً معًا"[٢٥] (إنَّنا ننبِّهُ إلى إمكانيَّة أن يكون إجراء هذه الألفاظ في هذا السِّياق لغويًّا عاديًّا لا اصطلاحيًّا).

فهذا القسم الثَّاني من الحروف يتمثَّلُ في حروف العطف والاستئناف، وهي ليست ذات وظيفة إعرابيَّة تُسهمُ في العمل النَّحويّ، فتقوم به هي كما هي الحال بالنِّسبة إلى حروف الجرّ، أو تساعد الفِعلَ على العمل كما في واو المَعِيَّة وأداة الاستثناء إلاَّ...، ولكنَّ وظيفةَ حروف العطف والاستئناف إنَّما تتمثَّلُ أساسًا في إضافة قسمٍ ثانٍ إلى قسمٍ أوَّلَ يكونان معًا متعادلَين من حيث القيمةُ التَّركيبيَّة، ففي حالة العطف يكون المعطوف من جنس المعطوف عليه، فإن كان اسمًا فاسم، أو مركَّبًا اسميًّا فمركَّب اسميّ... وكذلك في حالة الاستئناف يتمُّ وصلُ جملةٍ بأخرى، ممَّا يوحي بوجود تناسبٍ ضروريٍّ بين قسمَيْ العطف أو الاستئناف.

وأمَّا الفرق بين العطف والاستئناف، فيتمثَّلُ في أنَّ الأوَّلَ يشرك المعطوف مع المعطوف عليه في الوظيفة النَّحويَّة في الحركة الإعرابيَّة، في حين يمتنعُ ذلك في الاستئناف، بما أنَّه وصلٌ بين جملتَين، والجملةُ لا وظيفةَ نحويَّةً لها. وبذلك، فمجال اشتغال العطف داخل الجملة الواحدة، وأمَّا الاستئناف فيتعلَّقُ اهتمامُه بالجمل، أي مجالُه النَّصُّ بوصفه وَحدةً لسانيَّةً متكاملة، فكأنَّه ينهضُ لدلالة أرحب من الَّتي يضطلعُ بها العطف؛ إذ هو يُسهمُ في انسجام النَّصِّ واتِّساقه بطريقة مباشرة.

ثالثًا: يُضافُ إلى القسمَين الأوَّلَين قسمٌ ثالثٌ تقومُ فيه حروفُ المعاني بوظيفة معنويَّة دلاليَّة في الجمل الَّتي تدخلُ عليها، فتحتلّ فيها الصَّدر فتفيد إمَّا النَّفي أو الشَّرط أو الاستفهام أو الجزاء. ويحشرُ الجرجانيُّ في هذا القسم نواصِبَ كـــ (إنَّ) وأخواتها الدَّاخلة على الجملة الاسميَّة، وجماع القول في هذا القول الثَّالث من الحروف إنَّها، جميعَها، تدخلُ على الجملة فتحدث فيها معانيَ لم تكُنْ فيها قبل دخولها، فضلاً عن أنَّ بعضَها يَسمُ عنصرَي الإسناد في الجملة بسِماتٍ إعرابيَّةٍ خاصَّةٍ تؤكِّدُ قـــوَّةَ أثر تلك الحروف، في حين يقتصرُ البعضُ الآخرُ من الحروف على التَّحريـــر المعنويِّ

---

[٢٥] الجرجانيّ: "دلائلُ الإعجاز"، تحقيق د. محمَّد التّنجي– ص ٢١٢.

كالَّذي من التَّقرير إلى الاستفهام، أو من التَّقرير إلى الشَّرط. فهذه الحروف هي الَّتي تُنشئ المعاني الجديدة بمجرَّد دخولها على الجملة.

فهذه الأصناف الثَّلاثة من تعلُّق الحرف بالفِعل أو بالاسم أو بالجملة هي الَّتي تخوِّلُ اللُّغةَ أن تُنتجَ الدَّلالاتِ المختلِفةَ، بسيطةً كانَت أم معقَّدَةً[٢٦].

وإذا عُدنا إلى الإشارة الَّتي عرض لها فخر الدِّين الرَّازيّ، تبيَّنَ لنا أنَّ الصُّورةَ الذِّهنيَّةَ الحاصلةَ من الأسماء الَّتي ليس لها مرجع في الواقع المدرَك حسًّا أو الواقع المدرَك عقلاً، إنَّما ترتدُّ إلى النِّظام اللُّغويِّ ذاتِه، فهي رسومٌ أعجميَّةٌ إذا عُزلَت عن سياق النِّظام اللُّغويّ. فهل هذا يعني أنَّ عالَم اللُّغة أوسعُ من عالَم الفكر؟ أم يعني أنَّ اختصاص اللُّغة بتلك الملفوظات الَّتي لا مرجعَ فكريًّا لها إنَّما يدلُّ إلى احتياج اللُّغة إلى الالتفاف على ذاتها لتُنظِّمَ قدراتِها التَّعبيريَّةَ من ناحية، ولتَعِيَ حدودَها والخاناتِ الفارغةَ الَّتي تقصرُ عن القيام بها من ناحية أخرى. فكما أنَّ التَّجسُّمَ الفيزيائيَّ الصَّوتيَّ للُّغة عبر جهاز التَّصويت ليس بقادرٍ على أن ينجزَ على مستقيم الزَّمن أكثرَ من صوتٍ في الوقت نفسه، فإنَّ العبارات والملفوظات لا تؤدِّي إلاَّ عددًا محدودًا من المعاني (سواء أُحيط بها علمًا، كلِّها، باعتبار الدّلالات الحافَّة، أو لم يُحَطْ)، ولاسيَّما تلك الألفاظ الَّتي لا صلةَ لها بالواقع، وإنِّما وجودُها لغويٌّ صرف، فاحتكاكُها بالفكر لا يمكنُ أن يصلَ درجةَ التَّأمُّل فيها تأمُّلاً فلسفيًّا أو عقليًّا، لأنَّها في حدِّ ذاتها ليست مناطَ التَّأمُّل بل هي وسائط مساعدة موجودة وجودًا مجرَّدًا خاويًا من الدّلالات المستفيضة الغزيرة، وإنَّما لها دلالات آليّة "ميكانيكيَّة" تستمدُّها من اللُّغة ولا يمكنُ أن تتطوَّرَ أو يُجتَهَدَ فيها إلاَّ بقدرٍ يسيرٍ لا يكادُ يُذكر، مثل أن يُضافَ إلى معنى التَّشبيه في الكاف، معنى العطف

---

[٢٦] إنَّ الرُّجوع إلى نصوص الجرجانيِّ يخدمُ غاية إضاءة ما بدا مُبهَمًا في نصِّ الرَّازيّ، لكنَّ ما وقفنا عليه عند الجرجانيِّ لا يعدو أن يكون صنفًا من أصناف قِسم الألفاظ الَّتي تكونُ في الوقت عَينه دالَّةً ومدلولة، وهو صنف الحروف؛ والحال أنَّ اللُّغة تحتوي أصنافًا أخرى تحيل على ذاتها هي الأخرى، ولكن لها خصوصيَّة، نعني الضَّمائر. فالضَّمائر المتَّصلة تُحيل على نفسها من حيث أنَّها تعودُ على الضَّمائر المنفصلة؛ فقولك: "رأيته"، الهاء تحيلُ على "هو"، وأمَّا الضَّمائر المنفصلة فتحيلُ عادةً على أسماء بعَينها، فقسم الضَّمائر هو قسم من العناصر اللُّغويَّة الَّتي مرجعها غير الواقع، بل هو اللُّغة، ولكنَّها لا تعودُ على ذاتها بمعنى أنَّها لا تقترنُ بمعانٍ خصوصيَّة، غير أنَّ هذا غير صحيح تمامًا، فهي تستجيبُ إلى عدد من المقولات: الاسميَّة، الجنس، العدد، مع احتمالها لمَقولة الإعراب من دون أن تظهرَ عليها الحركةُ الإعرابيَّة، لأنَّها مَبنيَّة (أُنظر أطروحة الشَّاذلي الهيشري: الضَّمير: بُنيته و دوره في الجملة، جامعة منوبة، تونس، ٢٠٠٣).

فالضَّمائر تشترك مع حروف المعاني في كونها كائناتٍ لغويَّةً ليس لها في ذاتها وجودٌ واقعيٌّ مُدرَكٌ حِسًّا أو عقلاً، ولكنَّها تختلف عنها لأنَّها أسماء تنطبقُ عليها جملةٌ من المقولات، فتتناهبُها المعاني وتتراكبُ عليها المراجع، في حين تبقى حروف المعاني حاملةً لمعانٍ تتعلَّقُ بها وحدَها مجرَّدةً من التَّجسيم في إحالة بعَينها، تتبدَّل من سياق إلى آخر.

والجمع، كما في اللُّغة القضائيَّة؛ وبالمقابل، نجدُ ثراءَ الدّلالة الَّذي يَسمُ سائرَ الألفاظ ذات الوجود اللُّغويِّ "السَّوِيّ" بما أنَّها كائنات مزدوجة الوجود، أي هي توجَدُ في اللُّغة كما توجَدُ في الواقع العينيِّ أو الذّهنيّ، ولا تنحبسُ في "قفص" اللُّغة.

على أنَّ العِلمَ بهذه الألفاظ الَّتي يتطابقُ وجودُها اسمًا مع وجودها مسمًّى في اللُّغة، ضروريٌّ بالنِّسبة إلى مستعمل اللُّغة. وإنْ كان لا يُقيمُ لها بالاً في حدِّ ذاتها، فإنَّها هي الَّتي تُمفصلُ الخطابَ وتُهَيكلُه معنويًّا ودلاليًّا.

ومن دون ذلك، تكون اللُّغة عرجاءَ مَعُوقةً غيرَ مُبِينة، فهي بمثابة الرَّوابط المنطقيَّة الَّتي تضعُ الأمورَ في نصابها، وتمنعُ النّظامَ اللُّغويَّ كلَّه من التَّهافت أو التَّداعي. فهي قنطرةُ الدّلالة وجسرُ المعنى حيث تسهلُ ترجمةُ الخطاب اللُّغويِّ الرَّمزيِّ إلى القوانين الفكريَّة المنطقيَّة، فهي طائفة من الرُّموز اللُّغويَّة تجنَّدَت لِتَحميَ الخطابَ اللُّغويَّ من العبث والعِيِّ والحَصَر، من دون أن تنغمسَ في مجاري الألفاظ العاديّة، فهي الرَّسولُ الخارقُ بين منطق الفكر ومنطق النَّحو اللَّذَيْن من تراسلهما تنقدحُ الدّلالاتُ وتتولَّدُ المعاني.

صباح زوَيْن **Sabah Zouein**

Lebanese poetess, journalist, critic and translator. Worked for An-Nahar newspaper (1986-2004), then as freelance, mainly for As-Safir newspaper. With many published writings and translations, some of her works were translated into foreign languages.

Poétesse, journaliste, critique et traductrice libanaise. Collabora à la rédaction du journal An-Nahar (1986-2004); indépendante depuis, elle collabore surtout au journal As-Safir. S'inscrivent à son actif des écrits publiés et des traductions. Elle a été traduite à son tour en plusieurs langues.

شاعرةٌ وصحافيَّةٌ وناقِدَةٌ أدبيَّةٌ ومُترجمَةٌ لبنانيَّة. أسهمَت في تحرير صحيفة "النَّهار" اللُّبنانيَّة بين ١٩٨٦ و٢٠٠٤، وتعملُ حاليًّا كصحافيَّةٍ حرَّة، ولاسيَّماَ مع جريدة "السَّفير". لها كتاباتٌ وترجماتٌ مَنشورَة، كما نقِلَت مُقتَطَفاتٌ من أعمالها إلى لغاتٍ أجنبيَّة.

مُقتَطَفات

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

ثمَّ انحرَفتما، أنتما عن حافَّة الشَّمس كنتما كلَّ يومٍ تنحرفان أو كلَّ يومٍ عن حافَّة المكان، عندما ذلك الصَّيف، وكان ذلك وقت الألم وأيضًا وقت الرّيبةِ، والخوفُ على وجنتَيكما باديًا كان، كيف وافتَتَنتُما بألوان الغسق وفي قلب النَّار نِمْتُما، كانت تلك ساعة الأصيل، وتلك، عندما احمرار السَّماء أو حين السُّكون على أبواب البيوت، وتسكن أيضًا حوافي النَّوافذ، أي، كلَّما انحنَت عيونُكما على خيوط الشَّمس الآفِلَة بين ثغرات الخشب والزّجاج، كانت تنحني عميقة، ومتَّقدةً تلك الكلمة كلَّما اتَّقدَتِ اليدُ والكتفُ أو كلَّما الوجه، ذلك المنطوي وذلك أيضًا المُنحني، وفي عمق النُّور كم غرقتِ أنتِ، وكم هو في العمق غرقَ، لأنَّكما من كثافة الوقت أردتما أن تموتا، ومن مكانكما الكثيف تناثرتما في أرجاء البياض، أي عندما كنتما كلَّ فجرٍ بنصاعة اسمَيكما تَنتشيان، تلك هي أوقات التَّماهي، حين مع كلس الحائط تماهيتما وفي ثناياه بقيتما، هذا كلُّ ما تبقَّى من الأيَّام، أو لا يبقى منها سوى لقطاتِ صورٍ وزوايا نورٍ يبقى، أو، أجزاءُ حائطٍ أيضًا وسقفٌ وشبَّاك، تلك عينٌ ترى وتُكدِّس، وتلك لحظاتٌ تستحيلُ نورًا كثيفًا أو في الذَّاكرة استحالَت أشكالاً وحركةً وألوانًا، كيف أبواب الخشب الَّتي كانت لكِ، وكيف أزق النَّوافذ وعتبات البيوت، ثمَّ عندما عناقيدُ العنب والنَّدى، أيضًا عندما الطُّيور، والزرقاء المنحنية نحوكِ في عمق السَّماء، هذا حين رأيتكما تنامان في قلب الشَّمس وفي قلبها رأيتكما تتبدَّدان، أنتما، أو لأنَّكما عندما عجزتما عن رسم شكل أمكنتكما الكثيرة، وعن القبض على معنَيكما لا تزالان تعجزان.

***

وتقوقَعتِ في عمق كفَّيه، أو منحنيةً كنتِ وفي انحنائك الكثير كنتما عندما بياض الوقت، أو نظرتما إلى زوايا الغرفة، كلَّما الغروب في إطار النَّافذة المتَّقدة، أو حمراء هي النَّافذة من شمسٍ منحنيةٍ على البيوت وشمسٍ علَّقتِها على زجاج الشّبَّاك، أنتما اللَّذان رأيتما ظلالكما تنعكسُ إشاراتِ نورٍ في أرجاء المكان، ذلك الضَّوء الكثير وذلك الذَّهب الَّذي منكما، عندما الغرفة، أو تلك غرفةٌ كانت على حافَّة جبل، أيضًا في عمق السَّماء كانت، ثمَّ حين في أيديكما حفنةُ شمسٍ، كيف كلُّ هذا الوهج، وكلُّ هذا البريق كيف عندما جسداكما المشعَّان، جنبًا إلى جنب، واليدان في البياض، ناصعتان هما، أي لأنَّ الكفَّين كانتا تَنتشيان على فتنة الكلام الضَّئيل والكلام القليل في الافتِتان بوجهكِ، وبوجهه كان افتِتانُك في قلب الوقت، عندما هو، ورأسُكِ إلى أسفل، كنتِ في ألم المعنى، ولمَ، لمَ كلُّ هذه الأحرف الَّتي جمعتِها في قعر يدك، أنت الَّتي شربتِ رذاذَ الصُّبح والَّتي أنت من غبش الصُّبح تألَّمتِ، أو كلَّما غربتِ الشَّمسُ، عندما أنتِ في غروب الحرف، ثمَّ كيف اللُّغة الَّتي في فتاتٍ، أو كيف الكتابة وكيف، أنت الَّتي في محاولة بلوغها ولا تبلغينها أو في أوج الكلام تغرقيــن، تتبدَّدين،

لأنَّك الكلمة ولأنَّك من الكلمة تموتين، كم من الرّيبة تألَّمتِ وفي قلبها ألمُكِ من كتابة لا تكتمل، أو إذا اكتملَت، فلِكَي تَتناثري صورًا ممزَّقةً في زرقة النَّافذة، أنت الزَّرقاء في ذروة الكتابة والبياض، أنتِ كم بيضاء في ذروة المكان عندما المكانُ كلمةً يَستحيل.

***

كلُّ تلك الشَّمس بقيت في عمق يديكِ، ومن العمق يسطعُ نورُ جسدكِ كلَّما أنتِ ممدَّدةٌ وسطَ دائرته، أو هو وجهكِ في بريقه، في ساعات الصُّبح كلَّما لملَمتِ ظلالك من على كلس الجدار ومن أطراف الشّبَّاك، أنتِ الَّتي جبينُك في انعكاساته، والَّتي، لكثرة الاقتراب، ذلك الجسد الكثيف الَّذي من جسده هو كان يقترب، ورأيتكما تتكثَّفان أو من وقع اللُّغة تتبدَّدان، كان الفجر في الغرفة وجسدكما على عتبة الكلام كان، لأنَّكِ أنتِ دائمًا في أوج الحرف ومن الكتابة كدتِ أن تموتي، أيضًا عندما في رغبة القضاء عليها كنتِ، إلاَّ أنَّ الكتابة إليكِ تعود، كيف ولم تتمكَّني منها هي الَّتي منك كلَّ الشَّمس غرفَتْ، ومنك كلَّ النُّورِ وأحرفِ الذَّهب وصورِ المكان، هي، كلَّما أجزاءٌ منك بقيت على زوايا البيوت القديمة، وعلى اصفرار حجَرها بقيتْ، أو كلَّما على أطراف النَّوافذ الطَّويلة، كيف الطَّويلتان عيناك وكيف جوارحك المشعَّة من الوهج، تشعُّ، أنت الَّتي بمحاذاة النُّور مشيتِ والَّتي أنتِ بمحاذاة الرَّجل، تلك الأيدي في الهواء، أو تتذكَّرينها كلَّما الكلمة بأحرفها المميتة لأنَّها الأزليَّة تلك الأحرف، ثم عندما مشيتما على حافَّة النَّهر وعند حافَّة الوقت بقيتما، وتنظرين اليومَ إلى الزّرقة، أو تتراكم في عينكِ لحظات الأمكنة العديدة، إنَّها عين الكتابة وعين اللَّحظة الكثيفة، إنَّها حين يستحيلُ جسدُكِ صورةً في بريق الوقت أو هو ما تبقَّى من الوقت، أيضًا حين تستحيلُ طيورُ السَّماء خطوطًا زرقاءَ على زجاج النَّافذة، وكيف، حين انحناؤك، ثمَّ الانحناء الطَّويل على كومة صورٍ وكلمات.

***

عندما لوَّحتِ بيدكِ، وعندما ساعات الصُّبح الأولى، أو هو حين على استعداد الكلام، كنتِ أنتِ إلى بابٍ طويلٍ تقفين، ثمَّ واقفةً ظَلَلتِ ولمْ تتمكَّني، كيف التَّمكُّن من معناه هو عندما وجهُه هو يستحيلُ كلمةً، ومؤلمةٌ الكلمة، أنتِ الَّتي كم تألَّمتِ من الأحرف في فضاء صباحاتك وفي فسحة المكان، كم أنتِ، والمسافة على اتِّساع، إنَّه الخوف مجدَّدًا وإنَّها الرّيبة وكيف الكتابة ولمْ، أو كأنَّكِ لم تكتبي شيئًا بعد، ثمَّ كيف الفِعلُ الكتابيّ، والرَّجلُ ظلالٌ بين العتبة وزجاج الشّبَّاك، أنتِ الَّتي دائمًا وكثيرًا وكم حاولتِ الَّتي أنتِ، ولَطالما رأيتكِ في انطوائكِ من ألم الحرف وكم على كلماتٍ انطوَيتِ وعلى ألفاظٍ ومفردات، تلك مرايا انعكاساتك في زرقة الأوقات، وكم من وهجِ الصُّورة، وانحنيتِ من فتنة

الشَّمسِ ومن ألوانها أنتِ، ثمَّ حين في انحنائك الطَّويل، وكيف عُنقُكِ نحو أسفل، أو عندما كدتِ اسمَه أن تلمسي، أن، وحين بطرف أناملك النَّاصعة البياض، بالكاد وكأنَّك لم تلمسي، إنَّها فتنة الشَّغف في إطار النَّافذة الزَّرقاء، والصَّغيرة تلك النَّافذة هي، أو المُطلَّة كانت على شموسٍ ساطعةٍ وذهبٍ وألوانِ صيفٍ وصباحات، أي، المُطلَّةُ أيضًا على طيورٍ متلألئةٍ في بقعة سماء، تلك البقعة بين زوايا البيوت والَّتي، ثمَّ وكيف الطُّيور المنحنية، أو في انحنائها كيف شغفكِ بالصُّورة وفيها تتكثَّف أسماؤك وفيها أيضًا أنت تَنتشين، كم تلك الوجوه اللاَّصقة بالزُّجاج وكم انحناء جسدكِ على أوقاتٍ استحالت شكلاً، ومكانًا تستحيل.

***

كنتِ كلَّما نظرتِ إلى يدَيك، وكنتِ كلَّما الشَّمسُ في وسع كفَّيكِ، أو حين أصابعكِ المشعَّة والمتلألئة تلك، أصابعُ من ذهبٍ وشفَّافةٌ هي، حين أنتِ في كثافتك بين زوايا الغرفة عندما الرَّجل، هو الَّذي الكثيف في دائرتكِ، وكنتما إلى النَّافذة البهيَّة تقفان، ثمَّ إذا في عمق الزّرقة كنتما معًا تنحنيان، على أسئلتكِ وعلى الرّيبة كم انحنيتِ، أنتِ، لأنَّكِ في وسطه أردتِ أن تكوني والشَّغوفة أنتِ، كم الشَّغف فيكِ وكم الرَّغبة، كيف كلُّ ذلك النُّور الَّذي من صدركِ والَّذي من جبينكِ أيضًا كان، أو لا يزالُ الضَّوء الكثير في فمكِ، وكم انطوَت عيناكِ على ظلالِ حائطٍ ونافذةٍ وأبواب، حين على أوقاتٍ وعلى مكانِ الجرح كم انطوَتْ، وفي زوايا وجهكِ كم من بقايا لحظات ونثار كلمات رأيتِ، هذا لأنَّ الرَّجل، كيف هو عندما حطَّ يدَه على كتفكِ وكيف عندما أنت في نشوة الصُّورة، إنَّه الجسد الَّذي يستحيلُ أشكالاً والَّذي ألفاظًا دائمًا يستحيل، هو جسدكِ الَّذي من شكل المكان يصوغُ وقتَه أو في عمق انعكاسات وهج النَّهار ينحني، هو الَّذي لا يستكينُ إلى ركنٍ ولا إلى معنًى، أو الَّذي، كلَّما اقترب الرَّجل منكِ وأنتِ كلَّما اشتدَّ الوقت زرقةً والنَّافذة الصَّغيرة اشتدَّتْ، أو يتماهان، فالجسدان في التَّماهي مع مرايا الذَّاكرة والكلام، أنت كم حاولتِ، كم، وعجزتِ عن قتل الكلمة، وكيف، وفي العجز واصلتِ البحث عن الأحرف، كلّ أحرف الكتابة الَّتي في خطإِ الفعلِ ومن الخطإِ رأيتُكِ وحدَكِ تموتين، هو وحدَه الجسد نحو الأزل، جسدُكِ الَّذي من فِعل الكتابة تُبرِّئين، أنتِ الَّتي يدَيْ الرَّجل رأيتِ، أي، كانتا بهيَّتَين ونحو السَّماء كانتا.

***

عندما كنتِ تنامين في قلب السُّكون، أو عندما في قلبِ الحيرة كنتِ، وكم من أسماء تحوَّلَت ظلالاً، أنتِ ورأيتُكِ تنظرين إليها من الخلف، تتوارى الظِّلالُ تلك في شقوق الحيطان، أو تلتصقُ بالكلس هي، ثمَّ أنتِ، حين ينتابُكِ الخوف، أو خوفٌ هائلٌ هو الَّذي في جوفكِ، كلَّما تراقصَتِ الأطيافُ في

عتمة الغسق، أنتِ الَّتي في عمق الحنين عند كلِّ غروب، وكيف الأمْس يتحوَّلُ صورةً ومكانًا أزليًّا وكلمة، كيف، وفي يدَيك حفنةُ كلماتٍ وأصداءُ لعتمةٍ ونورٌ كثيف، إنَّه النُّورُ الَّذي من نارٍ وذهبٍ والَّذي في يدَيكِ المُشِعَّتَين، كم تلك اللَّحظات المتلألئة في أزرق المكان، وكم زرقة النَّافذة في تراكمِ أوقاتك الكثيرة، ثمَّ لأنَّك أنتِ انحنَيتِ كثيرًا، وفي انحنائك على حافَّة النَّافذة وأيضاً على أحرفٍ حاولَتِ أن تكتبيها، لأنَّك في قلب الحنين، تلك شمسٌ وكم أنتِ، وكأنَّك تنامين بين رموزها، عندما بين أشعَّتها اسمَكِ الخلاَّب تحفرين، أو في سطوة الضَّوء حفرتِ ملامحَ وجهك النَّاصع والكثيف هذا الوجه، ثمَّ كيف نثار جسدكِ كلَّما حاولتِ الكلام، كيف، أو، أنتِ في المحاولة تحفرين الحرفَ الأبديَّ في ذهب المكان، ولمْ، لمْ تتمكَّني يومًا من وقتكِ في تراكمه، حين خوفُك من اندثار الأشياء، أنتِ الَّتي أمامك امَّحتِ الأبوابُ وشيئًا فشيئًا عتباتُ البيوت والشَّبابيكُ تمَّحي، ثمَّ كيف الكراسي والطَّاولات، وأنتِ رأيتها تتطايرُ في الهواء، حين كان الوقتُ شمسًا وحادَّةً كانتِ الشَّمسُ، كلَّما الوجهُ النَّاصع، وكان يشعُّ نورًا وجهُكِ المُريب.

***

وتقوقعتِ عند الصَّباح على أسمائكِ، أو في دائرته هو رأيتكِ دائمًا تتقوقعين، أي، كلَّما انحنيتِ وفي انحنائك ذلك النُّور من يديكِ، عندما الشَّمسُ الكبيرةُ جدًّا في النَّافذة، ساطعةٌ هي، والشَّمسُ إلى وجهكِ المشعِّ معلَّقةً، تلك أوقاتٌ كانت لكما، حين في تلك الأوقات، أو أنتما حين بمُحاذاة النَّهر وعلى حافَّة المدينة رأيتكما، كيف، ولمعتما في بريق المكان وكيف عندما جسدُكما، ذلك الجسد الَّذي من وهج النُّور ومن وهج الذَّهب الَّذي، ثمَّ شفافًا رقيقًا توارى، أو كثيفًا ولفرط الكثافة في الهواء تناثر، كيف الصُّورة البهيَّة، وكيف من الصُّورة متِّ، أنتِ الَّتي، من بهاء ما علِق في إطار العين، كالموت في قلب النُّور ومن الحنين كلُّ موتكِ كان، رأيتكِ ترسمين أشكالاً في زرقة السَّماء وفي زرقة الوقت كم رسمتِ، تلك وجوهٌ كانَت لها أسماء، وتلك أحرفٌ حفرتِها في عمق كفَّيكِ وفي عمق الكفَّين أحرفُ النُّور كم برقتْ، لأنَّكِ كلَّما إلى الصُّورة نظرتِ، أو كأنَّك راكمتِ كلَّ أمكنتكِ في لحظة البياض، إنَّها الذَّاكرةُ وإنَّها كتابةُ المكان، كم تماهيتِ أنتِ مع زوايا الغرفة وكم مع خشب الشَّبَّاك، عندما اقتربتما من بعضكما بعضًا، وعندما كلُّ الوهج من كلمةٍ بقيتْ مرّةً على الكراسي والطَّاولات، أو لأنَّ أقدامَكما على أرصفة الشَّمس تلك بقيتْ، كيف الباب الأبيض وكيف كلس الحائط وألوان المزهريَّات على الشُّرفات، أنتِ الَّتي إليه نظرتِ والَّتي أنتِ إلى دائرته جبينُكِ، وكم من وقتٍ جمعَكما، كم من مدينة، ثمَّ كيف ورأيتِ القبَّعة في السَّماء، عندما طارت قبَّعته عاليًا في ذهب الظَّهيرة وفي وهجها طارت، وكم أردتِ أن تموتي لفرط الشَّغف أو لن تموتي سوى في قعر الكلمات.

أو لا تأتي يدُك بالكلمة الَّتي لَطالما أردتِ، لا تأتي وكم انتظرتِ، أحرفَ الذَّهبِ في فتحة الشّبَّاك كنتِ تنتظرين، ثمَّ في الألم من العجز، أو كم عن اللَّفظ عجزتِ، وفي اللَّعثمة يتشكَّلُ قليلاً المعنى، لأنَّ في اللَّعثمة أيضًا وجهكِ على الكلس يرتسم، ثمَّ كان الغروبُ يُشبهُ أيديكما في إيماءات الكلام الآفِل، ذلك الغروب، ويتلألأُ كان على الزُّجاج، وأنتما ظلاَّن يتمايلان على حائط الوقت، أيضًا على أبيض الحائط بقيتما، وكيف المكان وألوانه عندما وقتكما، أو كيف انحناؤكِ كلَّما أتى اللَّيلُ إلى السُّطوح وإلى حوافي النَّوافذ، ثمَّ بقي طيفكِ بين ثنايا الأبواب، طيفك أنتِ بين دقائق الغرفة، والَّتي أنتِ في محاولة الكتابة، تلك الَّتي تحاولينها لأنَّك في أوج الحرف، أو هي ذروة الكتابة كلَّما حاولتِ، وليستِ النَّوافذ في اكتمالها، وليستِ الأبواب، أو كان لكِ حيطان علَّقتِ إليها أصداءَك وشيئًا من اسمكِ علَّقتِ، ثمَّ كيف التَّواري في وهم الأمكنة وكيف الصُّور في تراكمها، كلَّما أنتِ في التَّقوقع وتَنثَنين على بعض ما بقي على وجنتَيكِ أو كلَّما على بقايا كَرَاسٍ وطاولاتٍ انثَنيتِ، عندما تنطوين على جراحكِ الكثيرة، أنتِ الَّتي في قلب الشَّمس نمتِ ولا تزالين، ولم يكُنِ الوقتُ وقتَكِ ولم يبقَ لكِ منه سوى وهج المكان، كيف تلك الصُّور المُشعَّة على كتفكِ، وكيف النُّور الكثير، عندما اليدُ نحو أزرق السَّماء، أو اليدُ، عندما نحو وجهه الكثيف، ذلك الوجه حين لامستِ معنى الاندثار، حين الخوف من الانتهاء، أو لأنِّي رأيتكما تنظران إلى أسفل، في جوف الرّيبة رأيتكما تغيبان.

***

أنتِ عندما نحوَه التفتِّ، وعندما إلى النَّهرِ واقفةً كنتِ، هذا لأنَّك أردتِ أن تتماهي مع الحجارة العتيقة، ولأنَّ فيها رائحةُ الأزل، فيها أردتِ أن تتَمَرَّي وإليها رأيتُك تلتصقين، حين وقفتِ قرب الرَّجل وحين تلألأتِ السَّماءُ في وجهَيكما، تلك كانت مياهُ النَّهر حيث عيونُكما، وتلك أوقاتٌ زائلةٌ ومعها زالَت أصداءُ بعض الكلمات، أو، كيف الحرفُ إذا حفرتِه في عمق كفَّيك وكيف إذ أردتِ القضاءَ على الكلمة، لكنَّك دائمًا عجزتِ ودائمًا في قلب الكتابة بقيتِ، أنتِ الَّتي من الشّبَّاك نظرتِ، والَّتي إلى ألوان الخارج، وكانت الزُّرقةُ على الشُّرفات، أو زركشةُ الألوان على أطراف البيوت، أي، عندما المساء، وعندما شمسُ الغسق على الزُّجاج، أو عندما أيضًا على أجزاءٍ من حائط الدَّاخل، تلك الشَّمسُ حين أشعَّتُها مرايا ذهبٍ على أبيض الكلس وفي زوايا البياض، لأنَّك، حين كان وجهُكِ في التَّماهي مع وجهه، كيف جسدُكِ حين برقتْ جوارحُكما لشدَّة النُّور، ورأيتِ أنتِ طيورًا كثيرةً على حافَّة النَّافذة وطيورًا ذهبيَّةً ترتسمُ في السَّماء، كم الجسدُ في ذلك الصَّباح وكم بريقه، وشجرةٌ وارفة نحو الدَّاخل أو الشَّجرة الكبيرة على عريكِ البهي، كم في أوج الحضور كنتما، وكيف تلك اللَّحظة الأزليَّة، بهاء اللَّحظة في بريق عريكما، كلَّما الكلامُ أيضًا في ذروته، تلك

ذروة الكتابة عندما في أعماق الحرف، أنتِ الَّتي في أعماقه والَّتي في كلِّيَّته أنتِ ترغين، إنَّها لعبةُ مرايا الوقت في انعكاسات الأمكنة، أنتِ التَّائهة في أروقة المعنى، أنتِ الَّتي في البحث عن الحرف المُطلَق وعن اسمكِ النِّهائيِّ دائمًا تبحثين.

***

كم ركضتِ، وعبر المدن الكثيرة كم، ثمَّ بجسدكِ رسمتِ أنتِ تخومَ الأرصفة والشَّوارع وزوايا البيوت، أنتِ الَّتي وقفتِ على عتبة الباب، وكانتِ الشَّمسُ وكان الجبلُ، كانت، وذلك الذَّهبُ على الخشب، أو، ساقاكِ النَّاصعتان في وَهج النُّور، في وهج الصَّباح دائمًا كنتِ، عندما الكلمة تحوَّلَت بريقًا وعندما بنورها الكلمةُ صورةً ساطعةً تَكون، كيف وجهكِ وكيف بريقه في قلب المكان، أو كيف كلَّما الكتابةُ وكلَّما الحرفُ، أنتِ الَّتي إلى الرَّجل وقفتِ، الَّتي زوايا الحائط رسمتِ وفي أبيضه كم كنتِ في خشب الأبواب كنتِ، وأيضًا في عثرات الكتابة، وأنتما، لأنَّكما في المكان الكثيف عندما إلى الغسق نظرتما، عندما عيونكما انحنَتْ والشَّمسُ في انحنائها كانت، تلك أوقاتٌ علقت بكفَّيكِ وتلك صورُ أمكنةٍ تلألأت في زرقة الشّبَّاك، كم البهيَّة أنتِ في بريق أطرافكِ، وعندما الحزن، كم الحزن عندما انحنيتِ وفي انحنائكِ الكثير كيف انطويتِ وكيف، حينها، وفاضت الأحرف ومن يدَيك كلّ الأحرف دفقتْ، وكنتِ في الكتابة على وشك الاكتمال، أو هي لم تكتمل كما الوقت الَّذي تركتِه على طاولةٍ منسيَّة وفي شقِّ الشّبَّاك، أنتِ، عندما في أوج الكتابة، ولا تكون الذّروة سوى في ذروة اللَّعثمة، أو كم حفرتِ أوقاتك في خشب الأبواب وكم من كلمةٍ بقيَتْ على حافَّة النافذة، حين وقفتِ معه في الفتحة الزَّرقاء، وكان الوقت ظهرًا، كان وجهاكما المائلان نحو الغياب.

***

أنتِ الَّتي ترامیتِ صورًا في أرجاء الزّرقة، وبين زوايا البيوت شذرات ذهبٍ وأحرفٍ تترامين أيضًا، كلَّما أتى الصُّبحُ إلى فتحة الشّبَّاك، إلى الزُّجاج أتى وإلى الجبين، أو لأنَّ النَّدى وعنبَ الفجرِ، لأنَّهما اليومَ في التَّواري وكم من وقتٍ تراكَمَ، على عرائش الكرْم وقناطر نوافذكِ يتراكم، وكان للرّيبة أن ترسمَ ملامحَ وجهكِ، كيف كان وجهُ الضّحى آنذاك، كيف، ورائحة التُّراب في فمكِ، أنتِ الَّتي كم من شمسٍ أكلتِ وكم من كلمةٍ ونجومٍ، ورأيتُكِ عندما واقفةً إلى حافَّة السَّماء، وعندما إلى أبيض الكلس، وكنتِ أنتِ في ذروة الكتابة وفي أوجها لا تزالين، أو في الأوج المحاولةُ ومنها كدتِ أن تموتي ومن عمق المكان تموتين، إنَّها الكثافة في الصُّورة، إنَّه أيضًا الألمُ من العجز وكم عجزتِ عن، أو تعجزين عن الانتهاء من الحرف وكم عن الرَّجل، كيف هذا الوجه، إنَّه وجهكِ

الكثيف والوجه الَّذي، عندما انحنتِ الطُّيورُ على فتحة الشّبَّاك، أو أنتِ من الفتحة كم نحو الخارج، إنَّه ظلُّ الرَّجل، وعلقَ الظِّلُّ في شقوق الخشب أو في ثنايا البيت والأبواب عَلقَ، إنَّها لحظاتكِ الَّتي، كيف تلك اللَّحظات، وتلك عندما صورًا تحوَّلَتْ، كيف العين، عندما عينكِ، وفي عمقها بهاءُ اللَّون والشَّكل، حين الطُّيورُ على وجنتَيكِ، وحين أنتِ إلى جانب الرَّجل، ثمَّ اليدُ النَّاصعةُ كلَّما أردتِ أن تقولي، واليدُ الكثيفة كلَّما الكتابة، وجبينُكِ لأنَّه المشعُّ دائمًا حين الضَّوءُ في الوسط، وكم رأيتُكِ تتماهين مع ألوان الظَّهيرة، وتتوارين رأيتكِ خلفَ أسماءٍ ووجوهٍ وشبابيك، مغلقةٌ تلك الشَّبابيك، أنتِ الَّتي تناثرتِ على الكراسي والطَّاولات، أنتِ في صيف مدينة عتيقة، أو لأنَّ الشَّمسَ في وسطكِ رسمتِها.

***

كانت ألوانُ الصُّبح في أرجاء الغرفة، وتتراقصُ كانت تلك على مساحة الحيطان، أو على الكلس وجهاكما كانا يرتسمان، هذه أشكال الكتابة كلَّما الجسدُ النَّاصعُ في النُّور الكثيف، أو تلك كتابةٌ كلَّما من أحرف الصَّدى ومن ظلال الوجوه، وكان الرَّجل، هو في إيماءاته وفي كلِّيَّة الشَّكل هو كان، حين أنتِ من نشوة الشَّكل والحضور، وكدتِ أن تموتي، أو كنتِ أيضًا من كلِّيَّة الكلمة كلَّ صبحٍ تَتملين، لكنَّكِ، أنتِ وفي كثيف الحضور، كنتِ أنتِ في الخوف وفي الرّيبة أنتِ، ثمَّ كيف وتلألأت أيديكما على زجاج الشَّبابيك، تلك الَّتي مشرَّعة على الوقت والرِّياح، أو تلك الَّتي في عمق الزّرقة، والَّتي المُتماهية مع ساعات الغسق في أزرق الفضاء، هي لحظات انحنائكِ، وكثيرًا كلَّما تَنحنين، كيف أنتِ عندما المكان في صورةٍ إلى الأزل وكيف الوقتُ حين إلى أمكنة يَتحوَّل، وكلُّ تلك الصُّور المتراكمة في عينَيكِ، حين تراكمَتْ، وحين أنتِ في خيطٍ من ذهبٍ وخيطٍ من نورٍ وجهك تختزلين، وبقيت القبَّعة الجميلة معلَّقةً في زرقة الظَّهيرة، في حرِّها، لأنَّكما حين إلى لقطات الوقت انتبَهتما، لقطات عدستكِ الهائلة، أو عينكِ المشعَّة هي، حينها تهاوى بعض المعاني وبعض الأحرف كمدَ، ثمَّ رحتما تذرعان الأزقَّة العتيقة في فَيء الشَّجر والحيطان، أو دخلتما كنائس مهجورة حيث السُّكونُ الجليل، كأنَّكما تنظران إلى فناء جسدكما كما إلى الماضي المحفور في النّقشات المحفورة، وبهاء المعنى عندما لمستِ تلك الحجارة الكثيفة، بهاؤه لأنَّكِ مائلة إلى الأزل أنتِ المائلة نحو الفناء، كأنَّكِ حاولتِ أن ترقدي في قلب الأشياء، أنتِ الَّتي في قلبها والَّتي في عمقها ترقدين.

***

تلك التِّلال الَّتي من الشَّغف رأتكِ تموتين، والشَّجرة كم رأتكِ في الموت لفرط الحضور، وكم، لأنَّكِ الحاضرة في كثافتك ولأنَّك المشعَّة أنتِ الكثيرة وأنتِ الكثيفة كلَّما من أطرافكِ كثرةُ النُّــور، أيضًا

أنتِ كلَّما في وسطكِ لمعَ اسمُه، أو لأنَّه الَّذي إلى النَّافذة المشرَّعة على زرقة السَّماء، ثمَّ لأنَّه هو الَّذي في مرآة وجنتَيكِ وهو في عمق العينَين، هذا عندما الغسق في أوَّله، عندما وقتك المتَّقد أو لحظة النَّار في تراقصها على الزُّجاج، إنَّه الشّبَّاك المائل كلَّما الزُّجاج في بريق الغروب، كلَّما اتِّقاد أشعَّتك في أمكنة الأمس وكلَّما في أبيضها، أو هو بياض وجهك وأيضًا بياض أكتافكما في عمق الحائط، ناصعةٌ يدُكِ الَّتي تبحث عن معناك، وناصعٌ الجسدُ الَّذي، أنتِ كم رسمتِه على نتوءات الكلس، كان ذلك في الأمس، وتتراكمُ اليومَ ظلالُكِ في زوايا الغرفة، أنت الَّتي حاولتِ أن ترسمي قبَّعتَه، ثم كم جلسَ هو إلى طاولات الشَّمس وكم إلى ألوان أوقاتكما، إنَّكِ في ذكرى مكانٍ، إنَّك في منتهى الكتابة، أي، حين تتحوَّلُ أمكنة الذِّكرى ألفاظًا وكلمات، حين يترامى جسدكِ بين أحرف الرّيبة وبين معاني الخوف، أو كم إلى طاولات الظَّهيرة جلستما، وكانتِ الكراسي الكثيرة، كانت أيضًا الأزقَّة العتيقة ورائحة الوقت في الحجارة وفي خشب الأبواب، وأمَّا النَّوافذ، فتلك شبابيكٌ مشرَّعةٌ على الزّرقة وعلى الفراغ، أنتِ الَّتي رأيتها تتناثرُ في عمق الفضاء، ورأيتِها شبابيكَ تتحوَّلُ رسماتٍ خلاّبةً علَّقتها إلى أبيض الكلس وإلى صباحاتكِ، إلى بياض الصَّباحات.

***

كانت شتلةُ الورد إلى زاوية البيت يومًا، وكنتِ كلَّ صباح في دائرة أريجها، وفي دائرة النَّشوة من الألوان كنتِ، بل هي كانت بين ضوء النَّهار والشَّبابيك المفتوحة كانت، ثمَّ، ولا يبقى من الوجود سوى صورٍ كثيفةٍ في اليدِ وفي العين، ولِمَ كلُّ هذا الشَّجو، لِمَ يستحيلُ الوقتُ لقطاتٍ مجبولةً من مكانٍ كان يومًا دقائقَ شغفٍ، تلك دقائق الأمس وتلك بقاياها في خطوط كفَّيك المشعَّتَين، أو بقايا ضحكات في طيَّات الأبواب، وشمسٌ على القرميد المائل كلَّما انحنتِ الطُّيور الزَّرقاءُ فوق قناطر الحجر وكلَّما فوق أبوابكِ المشرَّعة على الغياب، أو هو الغروب، عندما الشَّمسُ في انحنائها المهيب، وأنتِ معها نحو الأزل تنحنين، كثيرًا تنطوين رأيتُكِ، أنتِ الَّتي على حافَّةِ نافذةٍ كنت، تلك نافذة البهاء، هي المطلَّة على الجبل وعلى فتنة الفصول مطلَّة، أو كلَّما عريشةُ تشرين، كلَّما أشعةٌ خفرة إلى الزُّجاج، كيف جسدُك الكسير وكيف الكتابة عندما انكسرت أحرفٌ فيها وعندما إلى الصَّمت الجليل تتوقين، أو هي الكتابة في أوجها حين تفتَّتت جوارحكِ عند ألفاظها، أنت الَّتي فيها تغرقين وكم حاولتِ القضاء عليها ولمْ، لمْ وكم بريءٌ منها جسدُك الطَّفيف والنَّاصع الجسد من خطإ التَّدوين، أنت الَّتي قبل الكلمة، وعندما أنتِ، وكنتِ جسدًا جليلاً في قلب الشَّمس، حين أنتِ وهو، أنتما في ذَهَب الحرف وفي بريقه، أو كلَّما في الرّيبة منه وفي الخوف من عدمه، وبَعْد الكتابة كانتِ النَّافذةُ وكان المساء، أو بَعْدها، ظلالكما على الحيطان كانَت.

ثمَّ رأيتك تتوِّجين أحرفكِ بنور الصَّباح، لأنَّك أيضًا توَّجتِها بنار الشَّمس البهيَّة، إنَّها شمسُكِ كلَّما حفرتِ اسمَكِ في قلب الذَّهب، كلَّما أحرفُك المشعَّة على أبيض الحائط أو هو حائط الوقت الَّذي كان والَّذي الآن، أيضًا رأيتكِ تنامين على حافَّة السَّماء، أنتِ الزَّرقاء والكثيرة أنتِ عند الفجر وعند الغروب، أو متَّقدةٌ يدُكِ الَّتي إلى زجاج الشّبَّاك، وكم في النَّار أحرفًا رسَمتِ، كم حمرةُ الشَّفق على ذلك الزُّجاج، أو هو الرَّجل الَّذي بين الباب وظلالكِ، هو الَّذي وجهُه في بريق كفَّيك، أو أنتما اللَّذان على حافَّة الوقت استلقَيتُما، أنتِ، هو، ولأنَّكما أو لأنَّ أيديكما وتلك الأطراف الشَّفيفة حين الكثافة، كيف الجسد الكثيف في أوج البياض، أو تلك عينك المتلألئة كلَّما علقت أجزاء منك إلى ساعات الأصيل، وبهيٌّ ذلك المائل وعلى وجنتَيكِ دائمًا يميل، كيف أنتِ بأجزائكِ في الأرجاء تترامين، وتنعكسين على الكلس فتات كلام أو ألوانُ الوقت الكثيف على أبيض الحائط تنعكس، كم انحنيتِ، وعلى أوجاعكِ كم كنتِ تنحنين، أنت الَّتي من معنى المكان تألَّمتِ، والَّذي المكان اليومَ صورة بهيَّة، أو صورة في العين كالذِّكرى عميقةٌ، أيضًا، كشقوق الخشب عند أطراف اللَّيل، تلك أبوابٌ تقشَّرَتْ لأنَّك المنطوية ولأنَّك عند كلِّ صبحٍ تنطوين، أو عندما البابُ على أطراف أحرفكِ، أنتِ الَّتي رأيتِ طيورًا على حافَّة الشّبَّاك، والَّتي أنتِ تماهيتِ مع الغياب، كيف، أو حين لمستما طرف النُّجوم، حين انحنَتِ البيوتُ بعد غيابكما.

***

رأيتُكِ تميلين كلَّ يومٍ على الأبواب الكثيرة، أنتِ الَّتي ملتِ كثيرًا على وجوه وأسماء، والَّتي أنتِ على ذلك الخشب حفرتِ أوقاتكِ، تلك المتراكمة في كفَّيكِ أو في عينَيك كم من صباح راكمتِ وكم من غروب، وبعد الغياب كلُّ الأشياء تميلُ نحو الأزل، كيف في مهبِّ الرِّياح وفي عتمة اللَّيل، كيف شبابيك البيت المشرَّعة على الفراغ، مصاريعُها فتات ذكريات في ندوب جوارحك، وأمَّا الخشب، هو خشب الباب وطار نحو السَّماء، والخشب الَّذي من شقوقه طلعَت صورٌ ووجوهٌ وألوان، كم حاولتِ أن تفهمي، ولمْ، ثمَّ بقيَ الباب العتيق صورةَ وقتٍ على عتبة الألفاظ، ولمْ تقولا، أو بالكاد نظرتما إلى مصراعَيْ الشّبَّاك، عندما تكثَّف المعنى نظرتما، عندما أخذ الجسدُ يتلاشى، ثمَّ الجسدان اللَّذان بالحرف مجبولان، واللَّذان أيضًا بذاكرة الأمكنة، كيف، وتفتحين كفَّيك على الحيرة، أو كم رغبتِ في الشَّمس، كان ذلك في الأمس، أنتِ الَّتي اليومَ تفتحين يدَين مشعَّتَين على ظلالٍ بقيَتْ في ثنايا الكلس وفي فجوات الحائط بقيَتْ، أو كلَّما أنتِ رسمتِ ملامحكِ في زرقة الشّبَّاك، لأنَّكِ من روعة الصُّور تموتين، وكم مُتِّ من ملامح وجهه الَّتي في زجاج النَّافذة محفورة، ثمَّ حين تذكَّرتِ تلك الطَّـــاولات وحين تلك الكراسي، وكان الوقت شمسًا، أو كان الوقتُ أمكنةَ ذاكرةٍ متَّقدةٍ،

وذاكرةً في زوايا العين مرتسمة، أنتِ، وماذا فعلتِ بكلِّ أحرفكِ، ثمَّ كيف الانحناء الطَّويل نحو عتمة اللَّيل، كيف ظلالكِ على حافَّة النَّافذة، أو انحناؤكِ الكثيفُ حتَّى التلاشي، وكم رأيتُكِ تتلاشين حين هو، حين أنتِ.

***

كلُّ ما بقيَ من الجسدَين النَّاصعَين، ومن الأكتاف المشعَّة ما بقي وأيضًا من يدكِ الكثيفة، كتابةٌ في أوج الكتابة، وكأنَّك في ذروة العجز، وعنها كأنَّكِ تعجزين، أو، هي المحاولة في قلب الزّرقة وكم حاولتِ في قلب البياض، أي دائمًا في وسط الشَّمس، وكلُّ ما يبقى من وجهَيكما، ملامحُ رسمْتِها يومًا على أبيضِ الحائط القديم وتناثر الحائط في زوايا العين، تلك الكثيرة والكثيفة الزَّوايا، وكم ذلك الشّبَّاك، هو الَّذي من كلِّ ذلك الأمس بقي، ثمَّ كم هو عندما تناثر في الهواء، شبَّاكُ الذَّاكرة، عندما من شكله طلعَتِ الكلماتُ وعندما كلُّ المعنى من ألوانه طلَع، وفي خشبه الَّذي في الهواء عالقٌ، في فجوات الخشب أنتِ رأيتِ وكم كتبتِ أنتِ، عندما الأحرف ومن أطرافك تدفَّقَتْ، تلك أطرافكِ الَّتي من النُّور مُنبثقةٌ والَّتي في دائرة الرَّجل مُترامية، هو اليوم، أنتِ وهو، في باطن الحرف، هو وأنتِ ظلالُ بيتٍ في شمس تشرين، أنتما اللَّذان على العتبة بين فجرٍ وجبلٍ، أو غبشُ الوقت من أبَّهة المكان عندما المكانُ صورةٌ أزليَّةٌ في عمق العين، في بهاء اللَّقطة، أو أنتما كلَّما تذكَّرتما راحتَيكما الشَّاسعتَين، وكدتِ أن تموتي من الغياب، بل وكدتِ لفرط الحضور، والحياةُ في أوجها كلَّما الخوف من كلِّ هذا الشغف، أو كأنَّ الدُّنُوَّ من الموت كالغرق في كلِّ تلك الرَّغبة، كيف الرّيبة، كيف بلوغ معنى الحضور والجسدان صورٌ متراكمةٌ عن وقتٍ كان وعن وقتٍ من زوايا المكان انبثَق، أو لقطاتٍ أزليَّةً تحوَّل، عندما الجسدان في إطار النَّافذة الزَّرقاء، وانحنَيا، إلى ما لا نهاية رأيتِهما ينحنيان، وتَنثنيان رأيتُكما، أنتما كالشَّمس المائلة وكالشَّمس عند الأصيل، لأنَّكما كثيفَ الحَرْفِ أردتما، ولأنَّكِ الكثيفةُ أنتِ.

***

لمْ تكتملِ الصُّورةُ بعدُ، لمْ، وتتذكَّرين حفنةَ الثَّلج في كفِّك الشَّفيفة، كيف، وكان الشِّتاء والصُّبح كان والجبلُ، أو كنتِ أنت على كومة البياض، وكانت أيَّامٌ كثيرةٌ ترتسمُ على الحيطان، تلك أيَّامٌ توالَت عبر النَّافذة البهيَّة، ألوانُ الصَّباح والمساء، ثمَّ إنَّ ساعاتِكِ كلَّها بقيَتْ على خشب النَّوافذ والأبواب، أنت الَّتي علَّقتِ إلى إطار الشّبَّاك انعكاساتِكِ الكثيرة، والَّتي أنتِ، كم كان النُّورُ في جسدكِ، وكم في انحنائكِ الأزليِّ وفي انطوائكِ، أراكِ اليومَ في ابتعادكِ، أنت البعيدة وما تبقَّى منكِ، انعكاساتُ صورٍ متتالية، إنَّها أنتِ في أبعادكِ وأنتِ في تناثر أمكنتكِ، أو هي أوقاتكِ المتناثرةِ أجزاءً، لقطاتٌ جانبيَّةٌ

لصورٍ تركتِها أنتِ على الزُّجاج وأنتِ على مصراعَيْ الشبَّاك تركتِها، أوقاتُ الأمكنة محفورةٌ في الزَّوايا، وأيضًا في الثَّنايا حفَرتِها، أو وتحوَّلَ الجسدُ أحرفًا وذهبًا، ثمَّ كيف الموت في قلب الشَّمس، كيف وطأة كلِّ هذه الصُّور، وتنحنين، عندما في الانحناء لفرط الحضور، أو هو النُّور الَّذي من يدَيكِ، والَّذي النُّور ملء صدركِ، كلَّما تذكَّرتِ الوهجَ في إطار النَّافذة وكلَّما الشَّمسُ عند الأصيل، تلك الَّتي، وتميلُ على كتفيكِ لأنَّك التَّائهة، أيضًا لأنَّكِ المُتوارية خلف ساعات النَّافذة الزَّرقاء، كيف النَّافذة المشرَّعة على ذكريات وحنين، كيف الحزن عندما الجسدُ ظلٌّ بين عتمة الزُّجاج وبياض العراء، أنتِ الَّتي دائمًا حاولتِ والَّتي أنتِ في العجز لا تزالين، أو هو العجز عندما الذّروة أو ربَّما، عندما اكتمال ريبة التَّدوين.

***

ثمَّ كم تماهيتِ مع الكلمة، وكم معه، أنت الَّتي كثيرًا ركضتِ وكثيرًا رأيتُكِ تذرعين أزقَّة الشَّمس كلَّما في الشَّمس تمرَّيتِ وكلَّما العجزُ عن الكلام، وكان الوقت من فتات كلمات وكان أيضًا نافذةً وبابًا وزرقةً في الزُّجاج، أو هو الوقت صورةُ مكانٍ، وكم حاولتِ المعنى، أنت الَّتي من المعنى كدتِ أن تموتي، ثمَّ كيف وتواريتِ خلف نثار ما تكتبين، كيف الكتابة وأنتِ في العمق ومن كثرة العمق رأيتكِ تهلكين، أو كم تلاشيتِ كلَّما الغروب وكم كلَّما انحنت شبابيك البيوت نحو الأزل، ومادَ الجسدان في زرقة الخارج، تلك زرقةٌ رسمَتْ وجهَكِ وتلك في عيونكما تكدَّسَتْ، أو كثيفةٌ ملامحكما عندما الوقت في تراكمه، أيضًا عندما البيوت والشُّرفات في بريق الأمس، وعلقتِ الظِّلالُ إلى الحائط، إنَّه مكان الذَّاكرة، أو إنه، عندما الوقت في تنضُّده، ذلك الَّذي، حيث أشياءٌ منكِ بقيَتْ، حيث يدكِ وألوان الحديقة ونافذة زرقاء في بريق الظَّهيرة، ذلك الوقت الَّذي لقطاتٌ بهيَّةٌ في العين يبقى، والَّذي مكانًا أزليًّا يَستحيل، ثمَّ حين بكلسِ الغرفة حاولتِ، وعلى الكلسِ لا تزالين، أنت الَّتي بيدك النَّاصعة كم من مكانٍ رسمتِ وكم من كتابة، وكأنَّه هو الظِّلُّ الَّذي على الباب والَّذي هو على العتبة، ولمْ، لمْ تفهمي يومًا، وكان لك أن تترامي فتاتًا على أطراف النَّوافذ، كان لكِ أيضًا، عند الغسق، أن تلملمي أحرفك، أنت الخائفة، أو أنت البيضاء في قلب الرّيبة أو في بياض المكان.

عبد السَّلام الجعماطيّ **'Abdus-Salam Al-Ja'mati**
Moroccan historian and academic. Ph.D. in medieval history, with several published books and papers, as well as social and cultural activities.

Historien et universitaire marocain. Avec un doctorat en histoire médiévale, il a à son actif des livres et des études, ainsi que des activités sociales et culturelles.
مؤرِّخٌ وأستاذٌ جامعيٌّ مغربيّ. حائزٌ دكتوراه في التَّاريخ الوسيط، له كتبٌ وأبحاثٌ مَنشورةٌ وأنشِطَةٌ علميَّةٌ واجتماعيَّةٌ وثقافيَّة، إلى مُشاركاتٍ في ندوات ومؤتمرات.

جَوانِبُ من التـُّراث البحريِّ في الغرب الإسلاميّ

(مُقدِّمَة - introducción - *introduction* - introduction)

إنطلق فاتِحو الغرب الإسلاميّ، منذ أواخر القرن الأوَّل للهجرة، نحو غزو البحر المتوسِّط، مَدفوعين بالرَّغبة الصَّادقة في نشر الإسلام، والجهادِ البحريِّ في سبيل نصرته؛ وقد علَّمَتهم التَّجاربُ الَّتي خاضوها على طول هذه اللّجَّة – بإخفاقاتها ونجاحاتها – كيف يُطوِّعون البحرَ المتوسِّطَ ليصيرَ بحيرةً إسلاميَّةً مع مُستهَلِّ القرن الثَّالث للهجرة، وطيلةَ القرن الَّذي تلاه، قبل أن تتراجعَ سيادتُهم البحريَّة، وتضعفَ شوكتُهم في قهر الأساطيل الرُّوميَّة، خلال القرن الخامس الهجريّ، إلاَّ من بعض القوى البحريَّة الإقليميَّة الَّتي مثَّلت استثناءً في تطوُّر الأسطول البحريِّ بالغرب الإسلاميّ. وفي غمرة هذه السَّيرورة، اكتسبَ أهلُ مغرب دار الإسلام دِرايةً جمَّةً بطبيعة البحر المتوسِّط، وإلمامًا ببعض سواحل المحيط الأطلنتي، وطوَّروا خلالها معارفَهم بالملاحة فيهما، من قَبيل الاسترشاد بالظَّواهر الطَّبيعيَّة، وضبطِ الأوقات المناسبة للإبحار، وكيفيَّةِ تحديد المسافات البحريَّة، وطرائقِ خوض عُباب اللّجَّة.

عبد السَّميع بنصابر **'Abdus-Sami' Bensaber**
Moroccan short-story writer, born in 1986 (Marrakech – Morocco). Teacher, with literary writings and cultural activities.
Nouvelliste marocain, né en 1986 à Marrakech (Maroc). Enseignant, à son actif s'inscrivent des écrits littéraires et des activités culturelles.
قاصٌّ مغربيّ، من مواليد مرَّاكِش (المغرب) عامَ ١٩٨٦. مدرِّس، في رصيده كتاباتٌ مَنشورَة، إلى أنشِطَة ثقافيَّة.

ألمِعطَفُ والزُّجاجة

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

هبَّت ريحٌ خفيفةٌ لعبَت بطرف معطفي وراقصَت شعرَها النَّاعمَ حتَّى لامسَ وجهي، فحضنتُها تحت المعطف ونحن نسيرُ على الرَّصيف المبلَّط وقد عكسَ أنوارَ أعمدة الشَّارع. همسَتْ من تحت معطفي:

– إنْ لَمْ تتزوَّجْني سأنتحر.

أطلَلتُ عليها بأنفاسي من فتحة المعطف، ثمَّ طوَّقتُها بحرارة. أسكرَتني معزوفةُ اللَّيل فوجدتُني أعقِّب:

– سأنتحرُ قبل أن أتزوَّجَ غيرَك.

سيري يا أيَّام، وجيئي يا أيَّام، وتزوَّجي يا خائنة بشرطيّ، وانفخي كرشَك معه مرَّتين. الخبيثة... لم تنتحرْ كما قالت! وتنتحرُ من أجل ماذا؟

لكِ الآن أن تمضَغي العلكَ وتفرقِعيه بصوتٍ عالٍ وأنت تثرثرين أمام باب منزلك مع جاراتك اللاَّتي يُشبهنَك في كلِّ شيءٍ تقريبًا.

لكِ أن تنادي – أمامهنَّ – على ابنك الأصغر الَّذي خرجَ ليلعبَ من دون إذنٍ منك:

– حَميييد!

ها هو حَميد يا للا أمامك. بَس أحميد ماماك! وامسَحي أنتِ على رأس حميد بيدك، وقولي أمام جاراتك إنَّه يعشقُ لعبة الشُّرطيِّ والسَّارق. وسيري أنتِ يا جارتَها معها في الخطّ – بلا حشمة ولا حياء – قائلة:

– كأنَّه سيدي أحمد – زوجُك – يا سُبحان الله! غير هو صافي.. الله يخلّيه لك!

وتدخَّلي يا جارتَها الثَّانية، وثَمِّني ما قالَتِ الأولى... وهز سي أحمد.. وحط سي أحمد.. وحميد.. وهذا.. وكذا.. وبلاتي.. و.. و...

فرحة؟

يا لَلسُّخرية! كلُّ مَن سُرق منه شيءٌ استنجدَ بشرطيٍّ ليَستردَّ ما سُرق منه إلاَّ أنا. أنا سرقَني الشُّرطيُّ نفسُه. هل يعلم ابنُك حميد هذا يا تُرى؟... قلت لا يُضيرني أن تركلي ميكانيكيًّا مثلي لتعانقي رجلَ أمن، بقدر ما يُغيظني الوقتُ الَّذي مثَّلنا فيه أردأ مسرحيَّة ذات غباءٍ منَّا. هل أعجبتك قبَّعتُه الزَّرقاء الَّتي يمرُّ من وسطها الشَّريط الأبيض؟ ربَّما بذَّتُه ذكَّرتك يومئذٍ بالأفلام الأمريكيَّة الَّتي كنت تشاهدينها على الشَّاشة الكبيرة، على حسابي طبعًا...

وعصيرُ اللَّيمون الَّذي كنت تسكبينه في بطنك كلَّ مساء؟!

ومصروفُ الحافلة؟!

و...

ودوري يا عجلةَ الزَّمان، دوري؛ وانسجي يا عناكبُ خيوطَك حول الذِّكريات. وحاول في كلِّ مرَّةٍ أن تستلقيَ على سرير الوحدة. كنت تطلبُ الموتَ فلا يسمعُك. لا تَجِدْ غير الحزن وهو يتربَّصُ بالسَّرير من كلِّ جانب. يسحبُك من أطرافك ويرفعُك إلى الأعالي، فتلفي نفسَك كالأعمى وسط الضَّباب. لا ترى شيئًا، لكنَّك تتبيَّنُ إلى حدٍّ ما قهقهاتٍ مرعبَةً وهي تنهشُ كيانَك... ويتواطأُ القدرُ ومعه الأشياء، حتَّى يلقى بك من جديد من فوق السَّحاب إلى الشَّارع الطَّويل عَينه، لتجدَ خطواتِك تتيهُ على رصيفه مرَّةً أخرى.

هبَّتِ الرِّيحُ الخفيفة، ولعبت بطرف معطفك الجديد مرَّةً أخرى. لكنَّها لم تجِدِ الشَّعرَ النَّاعمَ لتراقصَه، فاستدارت باكية...

هل يعلمُ حبيبُها أنَّها كانت هنا قبل سنين؟

قالت أعمدةُ النُّور:

– كان يا ما كان...

وأنتَ يا رصيف، ألم تغازلْ حذاءَها؟

– ...

تلاحقُ خطواتِك وخيبتُك تلاحقُك. تحت المعطف الجديد كنت وحيدًا. قالت لوحة الحانة الَّتي تألَّقَ ضوؤها في ليلٍ كئيب:

– بالحضن...

قال معطفُك الجديد:

– لنجرِّب!...

توقَّفت هُنَيهَة. أطلَلتُ على المكان. كان ساكنًا كالمقبرة. تسلَّل المعطفُ من فوق ظهرك، ثمَّ جلسَ على كرسيٍّ مقابل لك. غمزك بعينه ثمَّ دعا إليكما زجاجة.

قالَتِ الزُّجاجة:

– طلباتكما...

إلتفتَ المعطفُ إليك مستأذنًا:

– ما رأيك في سماع حكاية "عندما يسرق الشّرطيّ"؟...

أومأت إليه موافقًا.

قالَتِ الكأسُ الأولى:

– كان يا ما كان...
وقالَتِ الكأسُ الثَّانية:
– ريحٌ خفيفة، وشعرٌ ناعمٌ وشارعٌ طويل...
ثمَّ توالَتِ الكؤوس...

عبد الله التواتيّ **'Abdul-Lah At-Tawati**

Algerian poet, born in 1963 (Mass'ad – Al-Jalfa – Algeria). With several published writings and cultural activities.
Poète algérien, né en 1963 (Mass'ad – Al-Jalfa – Algérie). À son actif s'inscrivent des écrits publiés et des activités culturelles.
شاعرٌ جزائريّ، من مواليد عام ١٩٦٣ (مسعد – الجلفة – الجزائر). يعملُ في التدريس، له كتاباتٌ مختلِفة، إلى أنشِطَةٍ ثقافيَّة.

ستُّون عامًا

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

ستُّون عامًا
ورحلتي
لم تنتهِ...
ستُّون عامًا
والظِّلُّ يُعربدُ في الحنايا
يصنعُ ما يشتهي...!!
– كم تأذَّيت...
كم سالَتِ الدِّماء
كالبحارِ...

كم انتظَرت
حتَّى
ملَّ الانتظارُ انتظاري...
كم عانَيت
كم ذقت أنواعَ العذابِ
وبَنو أمِّي
تائهون...
يلهثون وراء سرابِ...!!
ستُّون عامًا
ويَوميَّاتي غضب،
جوعْ...
حصار،
خطّ... أحمر
ممنوعْ...
- ستُّون عامًا
وأنا الموت
والموتُ أنا،
ليل... نهارْ
القوافلُ لم تنقطعْ أصواتُها
أحرار... أحرار... أحرارْ...
ستُّون عامًا
وطفلي الصَّغير
يكبر...
رَغم كلِّ الأهوالْ،
يزرعُ في الآثمين رعبا
يصنعُ المُحالْ...
ستُّون عامًا

وبريقُ آمال
في طيَّات ليلي
يَحدوني،
في شجري الأخضر
في حجري الأكبر
وأحداق العيونِ...
في صداح الطَّير
في مناغاة الصَّبيّ
وغصن الزَّيتونِ...

عزّت أبو الرَّبّ **'Izzat Abur-Rabb**

Palestinian short-story writer, born in 1957 (Jalboun – Janine – Morocco). Teached in Jordan and Saudi Arabia, director of the Cultural bureau in the Department of Janine (Palestine). With several published books and cultural activities.

Nouvelliste palestinien, né en 1957 à Jalboun (Janine – Palestine). Enseigna en Jordanie et en Arabie Séoudite, directeur du bureau culturel du département de Janine (Palestine). À son actif s'inscrivent des livres publiés et des activités culturelles.

قاصٌّ فِلسطينيّ، من مواليد جلبون (جنين – فِلسطين) عامَ ١٩٥٧. درَّسَ في الأردنّ والمملكة العربيَّة السّعوديَّة، مديرُ مكتب وزارة الثّقافة في محافظة جنين، في رصيده كتُبٌ مَنشورَةٌ إلى أَنشِطَةٍ ثقافيَّة.

أستاذُنا أبو جهاد

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

لم تفارقْ صورتُه ذهني منذ ذلك اليوم، أراه ماثِلاً أمامي في الطَّابور الصَّباحيّ، ببِذلَتــه الزَّرقــاء الغامقة، وقميصه الأبيض، وربطة عنقه الحمراء، مُشرِقَ الوجه، متهَلِّلَ القَسَمات، يرحِّبُ بالتَّلاميذ

الجُدُد من أبناء الصَّفِّ الأوَّل، يُصافحُ واحدًا، ويبتسمُ لآخَر، ويسألُ عن أبِ هذا، وجَدَّة ذاك، وعنزة فلان، وحصان علاَّن، يُضاحكُ المعبسَ والمقطِّبَ الجبين.

أمضى وقتًا طويلاً بينهم حتَّى هدأتِ الأنفاس، وتلاشى الخوفُ والقلقُ في عيونهم، فاسترختِ الوجوهُ المَشدودة، وعادتِ الوداعةُ تزيِّنُ الوجوهَ من جديد. وقفَ ثانيةً أمامنا، وبصوته الأجشِّ الرَّخيم، قال: أهلاً وسهلاً بطلاَّب الصَّفِّ الأوَّل، وأشار بيده، فرَدَدْنا خلفَه ثلاث مرَّاتٍ مُرَحِّبين بالطُّلاَّب الجُدُد، وتبعَها تصفيقٌ حادّ.

إتَّجهنا إلى غرفة صفِّنا، وسارَ هو أمام طلاَّب الصَّفِّ الأوَّل إلى الغرفة ذاتها. وعلى مقاعدَ خشبيَّةٍ طويلة، أجلسَهم ثلاثةً ثلاثة، الأقصر فالأطول، وعلى اللَّوح الأسود الطَّويل، كتبَ: كلّ عامٍ وأنتم بخير، وأهلاً وسهلاً بكم في العام الدِّراسيِّ الجديد. وذهب غيرَ بعيدٍ خلفَ الخزائنِ الَّتي تفصلُ صفَّنا عن جناح المعلِّمين، وعادَ برزمٍ من الدَّفاتر والأقلام والمحَّايات والبرَّايات والمَساطر، ووضعَها على الطَّاولة أمامَنا. أخذَ يُعطي كلَّ واحدٍ منَّا دفترًا وقلمًا، وقال: هذه هديَّةٌ مقدَّمَةٌ من أحد تجَّار القرية، المُحِبِّين العِلمَ والمُشَجِّعين إيَّاه. وتابعَ قائلاً: ماذا نقولُ لمَن يصنعُ معنا معروفًا؟ فقُلنا بصوتٍ واحدٍ: شكرًا. فأجاب: أحسنتم. ثمَّ قالَ مُبتسِمًا: الآن تعالَوْا نتعرَّف على أسماء بعضنا البعض؛ أنا المعلِّم محمَّد طاهر (أبو جهاد)، وبدأوا واحدًا واحدًا يذكرون أسماءَهم. فقال: أنتم منذ اليوم طلاَّب الصَّفِّ الأوَّل، وإلى جواركم طلاَّبُ الصَّفَّين، الثَّاني والثَّالث. فمَن له أخٌ أو أختٌ في المدرسة؟ فقال البعض: أنا . فسأل: مَن حفظَ من أخيه أو أخته شيئًا ممَّا تعلَّمَه في المدرسة؟ فقال أحدُهم: أنا حفظتُ سورةَ الفاتحة، فقرأها، فأعطاه محَّاية. وقال آخر: أنا حفظتُ أنشودةَ "أنا المَحبوبة السَّمرا"، فقرأها وأخذَ مسطرة، وقال ثالث: أنا حفظتُ من ستِّي قصَّةَ (الطَّير الخضر الخضر)، وحكى لهم الحكاية، فأعطاه برَّاية . ثمَّ قال: صفِّقوا لمَن قرأ. ومَن يأتِ غدًا حافظًا شيئًا من القرآن أو النَّشيد أو الحكايات، أُعطِهِ هديَّةً من القرطاسيَّة.

والآنَ استعِدُّوا للعودة إلى البيت. وأخرجَ علبةً من الحلوى ودعانا أن نتناولَ قطعةً من السّلفانا اللَّذيذة، وأن نعودَ إلى بيوتنا. فانطلَقنا نستبقُ فرحين متشوِّقين للبيت بعد يومنا الدِّراسيِّ الأوَّل، ولكنَّنا كنَّا متشوِّقين أيضًا للبقاء مع أستاذنا أبي جهاد.

Muhsin Al-Wakili **مُحسِن الوكيليّ**

Moroccan short-story writer, born in 1978 (Taza – Morocco). Teacher, with several writings and cultural activities.

Nouvelliste marocain, né en 1978 à Taza (Maroc). Enseignant avec, à son actif, plusieurs écrits et des activités culturelles.

قاصٌّ مغربيّ، من مواليد تازة (المغرب) عامَ ١٩٧٨. مدرِّس، في رصيده كتاباتٌ وأنشطَة ثقافيَّة.

حيُّ العابرين

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

كان دربُ العابرين، المعروفُ بزقاق الموتى، والمؤثَّث بالبرودة والخوف، وظلال مساء تعمِّرُ طيلةَ اليوم، دربًا مشؤومًا، وحديقةَ موت، هجرَه النَّاسُ منذ زمنٍ بعيد.. مُذ أن أقبلَ عليه رجالٌ وتاهوا في غيابة مجاهل قطعة أرضٍ صارت، بغتةً، أرضَ لعنةٍ وتِيه..

أتذكَّر، كنتُ صبيًّا لم يُتمِمْ بعدُ خمسة عشر ربيعًا، لكنِّي كنت كوطنٍ جريح، أومِنُ أنَّ كلَّ صَعبٍ يَسير.. كانوا يتحدَّثون عن بضعة مئاتٍ من الأمتار وممرٍّ ضيِّق، لا نقصدُه غير راجلين، ودورٍ مهجورةٍ تفصلُ حيَّين، كحدودٍ مستحيلة، تنتصبُ كحوافِ لعالَم غَيب.. كان الطَّريقُ الَّذي يعبرُ الحيَّ يشبهُ ممرًّا إلى الجحيم، جدرانُه المتقاربةُ والمَطليَّةُ بلون الرَّماد خاليةٌ من النَّوافذ... زُرِعَت فيها أبوابٌ صغيرةٌ لمَداخلَ طويلةٍ وغارقةٍ في السَّواد، كسراديب، تُفضي في نهاياتها إلى دورٍ كانت يومًا تُدعى قصورًا، عمَّرَتها أُسَرٌ كثيرةٌ التحمَت في عائلاتٍ حكمَها جَدٌّ واحد، قبل أن ينكِّلَ بها المستعمرُ الفرنسيّ، ويقتلُ الصِّغارَ والكبار.

منذ ذلك الحين أَلِفَ المارُّون أن يسمعوا صراخَ المغدورين وطلقاتِ الرَّصاص ونساءً يبكين أطفالهنَّ ورنينَ وقعِ أحذية العسكر... ومع الأصوات الَّتي كانت تكبرُ مع كلِّ مساء تحوَّلَ الحيُّ نزهةَ رعب. ككلِّ الدُّور المَهجورة في عالمنا الوضيع، على مداخل البوَّابات، كان القرفُ كالظِّلِّ يتمدَّدُ في خبثٍ على الأرض، فتصعدُ رائحةُ البَول وبقايا نبيذٍ تعفَّن، وذكرياتُ ليلٍ لا ينتهي...

كلُّ شيءٍ كان يُشيرُ إلى هامشٍ مَقصيٍّ من الأرض، لكنَّ أحدًا لم يحسبْ يومًا أنَّه سيصيرُ مرتَعًا للمجهول، وربَّما للشَّياطين.
كان والدي أحدَ الَّذين ضمَّهم المجهولُ لحظةَ تحدٍّ، وربَّما لحظةَ طَيش، دفعنا ثمنَها سنواتِ شقاءٍ من عمرنا... بكَت أمِّي بمَرارةٍ عن رحيل زوجٍ أخذَ معه الرِّزق والدِّفء والحنان والمصير... وبكينا نحن، لأنَّ والدَنا ضاع، ولأنَّ أمَّنا كانت تبكي... وكانت النَّارُ نارَين، نارَ أمٍّ تبكي ونارَ أبٍ فُقِد.
يومَ ذهبَ والدي، ولم يعُد، تركَ بضع كلماتٍ حكَتها أمِّي لكلِّ الجارات اللَّواتي جِئن لمُواساتها وتقديم التَّعازي عن موتٍ بلا برهان، قالَ لها:
– لا بدَّ لنا أن نعرفَ مصيرَ مَن فُقدوا.
وحين صرخَت في وجهه مُعترضةً:
– ومَن سيُعيلُ هؤلاء، هل هم المفقودون الَّذين ترحلُ لأجلهم؟
أجابَها بهدوءٍ اكتسبَه من سنوات صراعه الطَّويلة ضدَّ المُستَعمِر:
– لهم ربٌّ كريم.
وقبلَ أن يرحل، أضافَ باسِمًا:
– هذا طبعًا إذا لم أعُد.

مع نشيج أمِّي، الَّذي تواصلَ ليالٍ، قرَّرتُ أن أقتفيَ طريقَ والدي... وكي أذهبَ وأعود، فكَّرتُ أن آخذَ معي البندقيَّةَ الَّتي ترك، لكنَّني سخرتُ من نفسي، لأنَّ البندقيَّةَ لا تقاتلُ الشَّياطين. فقرأتُ عن الحيِّ في كتبٍ دوَّنت تاريخَ أحياء مدينة فاس، قرأتُ عمَّن بناه، ولِمَ، وعن تاريخ الأقوام الَّذين مرُّوا عليه.. مُستهلِكًا أيَّامًا كثيرةً لأتعرَّفَ على مدينةٍ فاقَ عمرُها ألفَ سنة.
فوجِئت، في غمرة البحث، بكتابٍ بالٍ، عثرتُ عليه في مكتبةٍ قديمةٍ تقعُ في نهاية حيِّ الدَّقَّاقين الَّذي يعمِّرُه عادةً صنَّاعُ الأواني التَّقليديَّة، ولم تلزَمْني مقابله غير دراهمَ، وكلمةُ شكرٍ لكُتُبيٍّ رانت على وجهه ظلالُ خبث.
قرأتُ على نشيج أمِّي الحزين، ليالٍ أخرى، جُمَلاً روَّعَتني. كتبَ المؤرِّخُ المجهولُ عن الدَّار الكبيرة: "هكذا أطلق النَّاسُ على هذا المجمَّع ذي السَّراديب 'حيَّ درب العابرين'، والَّذي كان مسكنًا لكبار العائلات قبل أن يعبثَ به الزَّمنُ وأيادي البنَّائين"، في الكتاب الَّذي لم يكُن له غير نظير واحد، أضاف المؤرِّخ: "وَسَمَ الزَّمنُ ذاكرةَ الحجر بالدَّم وأشلاء البَشَر".
أحسستُ بالرّعشة وأنا أغوصُ في تفاصيلَ مروِّعةٍ عن مجازرَ رهيبةٍ انطلقَت ذات يومٍ من سنة ثمان وخمسين وأربع مائة وألف للميلاد، وطيورُ الكركار والنُّسورُ تملأُ بطنَ السَّماء، وتصمُّ الآذانَ

بالصَّعير، حين دعا الحاكمُ أفرادَ عائلة، نغَّصت عليه حكمَه لسنين، إلى حفلة عشاءٍ برعَ في تحويلها قصَّةَ رعب، أرهبَت سكَّانَ المدينة وأطاحَت حكمَه بعدَ شهور.

يصفُ المؤرِّخُ المجهولُ المجزرةَ قائلاً: "تابعَ الشُّيوخُ المكبَّلون والأطفالُ والنِّساءُ مُرغَمين، في مراسيم موتٍ مهيب، مَقتلَ الرِّجال الَّذين ضُربَت أعناقُهم، واحدًا خلفَ آخر، في ساحةٍ كانت تقامُ فيها الأعراسُ والأعياد، وسِيقَ الشُّيوخُ الَّذين قُتلوا بعدما حُلِقَت لُحاهم، ثمَّ قُتلَ الأطفالُ وقد شلَّ الرُّعبُ حركتَهم. وأمَّا النِّساءُ فأُودِعن كالجرذان، عبرَ بوَّابة الجحيم، ليلقَين مصيرَهنَّ تائهاتٍ، في سراديبَ لا تنتهي...".

هلِ استفاقَتِ الآن ذاكرةُ الدَّار وحنَّت لماضيها المُوجع، أم إنَّ الموتى يحتفلون من عهدٍ إلى عهد، بموتى آخرين؟

أغلقتُ الكتابَ بعيد منتصف اللَّيل، وضعتُ البندقيَّةَ على كتفي، من دون وَعي، وقصدتُ دارَ محمَّد التاوجطاتي فوجدتُه، كما المُعتاد، يعقرُ الخمر، بإخلاص، على درب الماجنين، ويهيمُ في كتاب القطذِ الأسود لإدغار ألن بو. كان مولَعًا بالخمر فلا يتركه، والأدبِ فلا يقضي يومَه إلاَّ مُبحِرًا في عوالمه، مُنتَشِيًا بطيبه.

سألتُه يومَها:

– لِمَ تُدمنُ عليهما على حدٍّ سواء؟

فأجابَني بنبرة احتقارٍ عن سؤالٍ لا يطرحُه فَطِن:

– كلاهما يسوقانني بعيدًا عن هزائمي.

كنتُ أعرفُ أنَّه الشَّخصُ الوحيدُ الَّذي لا يردُّ طلبًا مُغريًا بزيارة حيِّ العابرين، فهو الرَّجلُ الَّذي لم يخشَ يومًا أحدًا، وهو الَّذي صنعَ على أجساد جُند فرنسا ملاحمَ ردَّدَها المغربُ من الشَّمال حتَّى الجنوب عبرَ دروب المدينة الَّتي حوَّلَها في مناسباتٍ كثيرةٍ حمَّاماتِ دم.

دعوتُه:

– هيَّا لِنَزُرْ حيَّ العابرين.

ببسمةٍ وجملةٍ سكبَ سطلاً باردًا عليّ:

– ومتى تُعيدُ الكتابَ للكُتُبيّ؟

لم أسألْه كيف علمَ أنِّي اقتنيتُ الكتابَ، وإنَّما وجدتُني أستفسرُه:

– لِمَ أعيدُه وهو لي؟

قال بازدراء:

– لِيَشتريَه غيرُك ويلحقَ بمَن ضاعوا.
كان يلزمُني وقتٌ طويلٌ لأفهمَ ما يجري، لكنَّه أضاف:
– أنت لا تعلمُ أنَّ قلبَ الزَّمن يتوقَّفُ هناك لبشاعة النَّكبات، وأنَّ الموتى يَحيون في الزَّمن المَيْت.
إسترسلَ وأنا ألتزمُ الصَّمت:
– إذهَبْ وحدَك لتموتَ بمفردك، أو لتعيشَ مع الموتى.
عُدتُ إلى الدَّار، وضعتُ آخرَ التَّرتيبات، تركتُ وصيَّةً بإعادة الكتاب إلى الكُتُبيّ، وعلى طاولة الطَّعام أودعت لأمِّي بضعَ كلمات، ومعها عبارة لكلِّ النَّاس، ولكم أنتم كذلك:
"أنا ذاهبٌ إلى حيِّ العابرين، الدَّارِ الكبيرةِ المعروفةِ بتاريخها، بمقربَةٍ من جامعة القرويِّين، وسطَ المدينة العتيقة، ولاية فاس... مَن أرادَ أن يعرفَ سرَّ الحَيِّ فليَتْبَعْني".

محمَّد أخرَس **Muhammad Akhras**

Syrian poet, teacher of calligraphy in Idlib (Syria). With several published books, prizes and cultural activities.

Poète syrien, enseignant de calligraphie à Idlib (Syrie). À son actif s'inscrivent des livres publiés, des prix et des activités culturelles.

شاعِرٌ سوريّ، مُدَرِّسُ مادَّة الخطّ في مركز الفنون التَّشكيليَّة بإدلب (سوريا). في رصيده كُتبٌ مَنشورَة، وجوائزُ، إلى أنشِطَةٍ ثقافيَّة.

عَزفٌ مُنفَرِد

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

عافَتْكَ أغنيةُ البَراري
وانتَفَيتَ معَ الصَّدى
أسفًا يُلَوِّحُ للمرافِئ والغِياب
تَجلو رِحالُكَ صفحةَ الرَّملِ الغريقةَ

في بُحيْراتِ الأصيلِ
تَغُطُّ في لُجٍّ... سَرابِ
غادَرْتَها
وحَمَلْتَ ما لا يستطيعُ العابرُ النَّائي
من الأسماءِ والأتعابِ
من ليلِكَ السَّاجي... ومن قَهرٍ تأصَّلَ
في مطالِعِ خافِقَيكَ وفي شِعابِ الرُّوحِ
في الخَفَقاتِ... في الجُنحِ الْمُصابِ
عَلَّقْتَها شَطَّاً على النَّهرَينِ في عينَيكَ...
في نَهرٍ يُغَنِّي في حديقَتِها
ونَهرٍ في بَقِيَّتِها
تَعَتَّقَ من لَمَى... قَطرٍ مُذابِ
وتَركتَ عند معابرِ الذِّكرى
خيالَكَ ضائعًا بينَ الضَّفائرِ والسَّحابِ
طَرفًا يلوبُ هناكَ من بابٍ لِبابِ
دربًا بعيدًا حالِمًا
إمَّا رَجَعتَ إليهِ أَلفيتَ الحبيبَةَ في انتظارِكَ
في ثيابِ النَّومِ... في كأسِ الشَّرابِ
وإذا سَباكَ الْمُنتهى... حالَ السُّدى
وبَنى التياعٌ صرحَهُ في الدَّمعِ والأهدابِ
أَلقَيتَ حُلْمَكَ في مَهَبِّ الرَّاحلينَ بلا جوابِ
ومَضَيتَ دونَكَ
زُرتَها ضيفًا معَ الأغرابِ!

Muhammad ‘Abbas ‘Ali **محمَّد عبَّاس علي**

Egyptian short-story writer, born in 1963 (Alexandria – Egypt). Electrical engineer with several published books, prizes and cultural activities.

Nouvelliste égyptien, né en 1963 à Alexandrie (Égypte). Ingénieur électrique, à son actif s'inscrivent des livres publiés, des prix et des activités culturelles.

قاصٌّ مِصريّ، من مواليد الإسكندريَّة (مِصر) عامَ ١٩٦٣. مهندسُ كهرباء وقوى كهرَبِيَّة، في رصيده كُتُبٌ مَنشورَة، وجوائِزُ، إلى أنشِطَةٍ ثقافيَّة.

ألآخَر

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

تلقَّاها على ظهره – بين منكبَيه – ضربةً قويَّة، كادَ أن ينكفىء على أثرها على وجهه.

إجتاح صدرَه إعصارٌ من غضب، كوَّرَ يدَه واستدارَ استعدادًا للكمة باطشة، وجدَها امرأةً شابَّةً تقفُ متنمِّرةً له والشَّررُ يتطايرُ من عينَيها، وهى تصرخُ فيه:

– إلى متى ستهرب؟

إنداح الغضبُ مُفسحًا براحًا واسعًا لدهشةٍ هائلةٍ في نفسهة، شعرَ برأسه يدور، وبتوازنه يختَلّ، بينما المارَّةُ يتوقَّفون صانِعين دائرةً حولهما. صعدَها من أسفل إلى أعلى متفحِّصًا ملابسَها وتعبيراتِها الوحشيَّة وهي تحاصرُه بلَهَب نظراتها حتَّى لا يفلتَ من يدها... نحيلةٌ هي... جسدُها الصَّغيرُ يشبهُ أجسادَ الصِّبيَة لولا كرتَيها أعلى الصَّدر، وتحملُ وجهًا هو، على الرَّغم من وحشيَّته، فى نضرة صباحٍ بِكر... غمغَمَ فى غضبٍ جامِح:

– كيف تجرؤين؟

ولم يُكمِل... إندفع صوتُها عاليًا وهي تقتحمُ البراحَ بينها وبينه، قابضَةً على أعلى قميصه:

– أَلَم يَكفِكَ ما فعلت؟

خلَّصَ ملابسَه بصعوبةٍ من بين يدَيها، ودماغُه يَغلى، والنَّاسُ حولهما أجسادٌ تتكوَّنُ من عيونٍ وآذان... صرخ:

– مَن تظنِّيني بالضَّبط؟

وهو يحدِّقُ فى بؤبؤ حدقتَيها... أكمل:

– أنا لا أعرفُك.

دقَّت صدرَها هَوْلاً وهي تسألُه صارخة:

– لا تعرفُني، يا حسن، لا تعرفُ زوجتَك، امرأتَك، أمَّ أولادك، تُصِرُّ على الهرب؟

لمعَت عيناه ببريق الظَّفَر، تلفَّتَ الى الأعين المتربِّصة به وهو يمدُّ يدَه إلى حافظته ويرفعُها عاليًا ويؤكِّد:

– ها هي بطاقتي... إسمي رفعت، وليس حسن.

قبل أن يديرَ وجهَه إليها، اندفعَت إلى يده بسرعة، التقطَتِ البطاقةَ وهي تقولُ كمَن عثرت على دليل إدانته:

– بطاقة مزوَّرة، وصلَ الأمر لهذا؟

هجمَ على يدها محاولاً استردادَ البطاقة منها، دسَّتها فى صدرها، مدَّت يدَها الى حقيبتها وأخرجت صورةً لهما معًا... وجَّهتها إلى عينَيه بقوَّة:

– أُنظُر... مَن هذا؟... انكمَشَت يدُه وهو يرى صورتَه إلى جوارها ضاحكَ الثَّغر، شعرَ بالعجز أمامها يتسرَّبُ إلى نفسه:

– ماذا تريدين؟

قالَت بهدوء:

– أن تأتيَ معي.

عادَ إلى الاحتِجاج:

– لكنِّي لا أعرفُك.

إرتفعَ صوتٌ:

– الأفضلُ الذّهابُ إلى مركز الشّرطة.

أيَّدتِ الصَّوتَ أصوات... استدارَت إليهم فى غضب:

– وأضيِّعُ زوجى بعد أن وجدتُه؟

ثمَّ عادت إليه:

– ألَم توحشْكَ أمُّك العجوزُ المَرِضَةُ وأولادُك، ألَم أوحِشْكَ أنا، زوجتُك عَطِيَّات؟

وشدَّته من يده لتخرجَ به من الطَّوق البشريِّ المُحيطِ بهما... بعد خطوات ربَّتَت كتفَه بحنوٍّ قائلة:

– أنا في حاجةٍ إليك.

إرتجَفَ... لا يدري أغضبًا منها أم دهشة، وصرخ:

– أنا لا أعرفُك.

إبتسمَت مهدِّئَةً من ثورته:
– قُلْ هذا بعد أن نعودَ من مشاويرنا.
– بأيِّ صفةٍ أسيرُ معكِ؟
– بصفتك زوجي حسن.
– لستُ هو.
– صدِّقني، أنا في حاجةٍ إليك، أعدُك ألاَّ أضايقَك ثانية، وإذا سألتُك عن شيءٍ أو طلبتُ منك شيئًا اتركني من جديد.
– أرجوكِ!...
– أنا الَّتي أَرجوك.
– آسَف.
– إذًا، سنعودُ إلى الصُّراخ وفرجة النَّاس وصورتنا معًا.

أحنى رأسَه وترك لقدمَيه حرِّيَّةَ الحركة.
خطوات قليلة سارَها وعاد إليها متسائِلاً:
– لماذا أنا بالذَّات؟

حدَّقَت في حبَّتَي عينَيه محاولَةً اكتشافَ ما خلفَ الأحداق، استدارت إلى الطَّريق من جديد:
– ستعرف.
عادَ يسأل:
– وما هو المطلوبُ منِّي بالضَّبط؟

إستمرَّت فى السَّير:
– لا شيء... أحتاجُ وجودَك بجواري فقط.
حدَّقَ فى رأسها الصَّغير المَرفوع فى وجه الطَّريق... هل تَعي ما تفعَل، أم ستزجُّ به في ورطة، وماذا سيقولُ إذا حدثَ هذا، ومَن سيصدِّقُ أنَّه حدثُ له ما حدث؟
إستدارَت له كأنَّما تقرأُ أفكارَه... قالت بهدوء:
– لا تقلَق.
وعادت إلى الطَّريق... إقتربَت من أحد البيوت الرَّقيقة الحال، مضَت إلى مدخله الضَّيِّق، صعدَت على سلالمَ متهالِكَــةِ الحوافِّ مُتسانِدَةً على درابزين بلا ملامح، توقَّفت أمام أحد الأبــواب، دقَّــتِ

الجرس... فُتِحَ البابُ عن امرأةٍ كبيرةٍ تغضُّنات الوجه، ملوَّنةِ الملامح، بمجرَّد أن رأتهما زادَت عبوسَ وجهها عبوسًا، وتساءَلَت عمَّا يريدان، نادَت عَطِيَّات بقَرَف:

– محمود.

خرجَ إليهما شابٌّ يافعٌ ناضجُ العود بملابسه الدَّاخليَّة، بمجرَّد أن رآهما تعثَّرَ فى ارتباكه، حملَ وجهُه معالمَ دهشةٍ ممزوجةٍ بذعر، قبل أن يرتميَ على صدره باكيًا:

– سامِحني، يا أبي.

وقفَ لا يفقَهُ شيئًا، تدخَّلَت عَطِيَّات:

– أبوك غاضبٌ عليك، وأنت تعرفُ لماذا، ولولا إلحاحي ما جاءَ الآن.

إندفعَ محمود يقبِّلُ يدَيه:

– أدخلْ... تعالي... تعالي يا أمِّي.

حدَّقت فى عينَيه... عيناها بِئرا لومٍ وتقريعٍ ليس لهما قاع... تساءَلَت بصوتٍ مغسولٍ بالقهر:

– تظنُّنا ندخل؟

واستدارَت عنه مغادِرَةً.

في الطَّريق سألَها عن تفسير ما رأى... بزاوية عينَيها نظرت إليه:

– ألا تعرف؟

إضطرَب، بدَت على جفنَيه ارتعادةٌ خفيفةٌ وهو يهمس:

– لا.

قالَت ووجهُها للطَّريق ما زال:

– سترى بنفسك.

وصلَت إحدى المُستَشفيات... دخَلا معًا... أمام أحد الأَسِرَّة توقَّفت... رأى فتاةً شابَّةً ترقدُ على ظهرها في إعياءٍ واضح... قالت عَطِيَّات في عَطف:

– وفاء... أُنظري مَن جاء يراك.

رفعَت إليها وجهًا اعتلاهُ الذّبول، امتصَّه المرض، فتحت فمَها لتتكلَّمَ وقد اكتسَت نظراتها بدهشةٍ بالغةٍ لرؤيته:

– أين كنتَ، يا أبي؟

ربَّتَت عَطِيَّات كتفَها في رِفق:

– على الرَّغم من غضبه لِمحاولتك الانتحار، جاءَ يراك.

إرتعدَت بضعُ دمعاتٍ عجافٍ على حوافِّ عينَيها، مدَّت يدًا ناحِلَةً إلى يده القريبة، ضغطَها مترفِّقًا.
في الطَّريق، عاد يسأل:
– لماذا؟
مُشيرًا إلى ما فعلَته وفاء... ردَّت عَطِيَّات باقتِضاب:
– ستعرف.
وهي ما زالت تواجهُ الطَّريق، أسرعَ في خَطوه حتَّى وقفَ أمامها قاطعًا عليها الطَّريق:
– إن لَم تشرَحي لى الأمرَ سأضطَرُّ إلى الرَّحيل.
تبسَّمَت بغَمٍّ وهي تواجهُه بعينَين مُتَّسِعَتَين تغطِّي حدقاتِهما قطراتٌ من ماءٍ عزيزِ الهُطول:
– ترحل... ثانيةً!!
إنتفض:
– لستُ أنا.
صرخَت:
– إذًا مَن؟
إزدادَت الحيرةُ تعملُقًا فى مُقلتَيه... كيف يُقنعُها؟... دلفَت إلى بيتٍ منفرجِ الشَّبابيك يتقدَّمُه مدخلٌ بلا باب، وهو إلى جوارها، صعدَت سلالِمَ قليلةً نظيفةً على الرَّغم من ضيقها، توقَّفَت أمام أحد الأبواب، فتحَته ودخلَت، أضاءتِ المصباح وأشارَت إليه، تقدَّمَ مُحاذِرًا وهو ينظرُ حولَه في تأفُّف... كانَت هناك أريكةٌ في المواجهة ترقدُ عليها عجوز مُستغرِقَة فى النَّوم، إلى جوارها من اليسار ممرٌّ يؤدِّى إلى الدَّاخل، ومن اليمين حجرةٌ مغلقَة، زجاجُ بابها مَكسور، ومكانُه قطعةٌ من ورق مُقَوَّى. مدَّت عَطِيَّات يدًا حانِيَةً توقظُ العجوز:
– أمَّاه... هذا حسن... ابنُكِ.
فتحَتِ العجوزُ عينَيها وفمَها معًا... الفمُ مثرومٌ تمامًا، وشعيراتُ قطنها ناصعُ البياض بلَّلَهُ العرقُ يلتصقُ بوجنتها... همست:
– تقولين مَن؟
وهي تحاولُ الاعتدالَ في لهفة مَن رقدتها من دون أن تسمعَ أو تنتبهَ لِرَدّ، أخذت تُتَمتِم:
– حسن، ولدي.
ومدَّت يدَيها المعروقتَين تتلمَّسُه ممَّا اضطَرَّه للاقتراب منها، أمسكَت يدَه ورفعَتها إلى وجهها تمسحُ بها قسماتِها، تقبِّلُها ودموعُها تنزلقُ ناحلَةً عبرَ تغضُّنات وجهها، شعرَ بجسده يرتجف... قشعريـــرةٌ

هائلةٌ تُدغدغُ حواسَّه، والمرأةُ تشدُّه نحوها، تحتويه بين ذراعَيها وهي تبكي:

– سلامتك، يا حسن.

وهو بين يدَيها عادَ بنظراته إلى عَطِيَّات... كانت تبكي.

رآها تفرُّ من دموعها إلى الممرِّ الواصل إلى الدَّاخل... مضى خلفَها، فتحَت بابًا فى المواجهة، وقفَت مُشيرةً إليه بالدُّخول وهي تمسحُ عينَيها... رأى سريرًا خشبيًّا قديمًا يأخذُ ركنًا، يجاورُه دولابٌ باهتُ اللَّون إحدى دلفِه منزوعة، ومائدةٌ صغيرةٌ عليها تِلفازٌ صغير، وحصيرٌ قديمٌ مُهترىءُ الأطراف يفترشُ الأرض، وعلى حافَّة الشُّبَّاك صينيَّةٌ من الألومِنيوم عليها قلَّةٌ من الفخَّار مُغطَّاةٌ بقطعة قماشٍ بيضاء، سمعَها تتكلَّمُ وهي تمدُّ إليه يدَها ببطاقة هُوِيَّته:

– لولا حاجتي... ما سعَيتُ إليك.

همسَ:

– لستُ حسن.

حدَّقَت فى عينَيه بنظراتٍ حديديَّة، ولم تردّ، أشارَت إلى جلبابٍ معلَّقٍ على مسمارٍ خلف الباب:

– جلبابُك نظيفٌ ينتظرُك.

وغادرَته إلى الخارج.

صرخَ في مواجهة السَّرير والدُّولاب والحصير والشُّبَّاك وجدران الحجرة المتساقطة الطّلاء:

– لستُ حسن.

إنتبَهَ لصورةٍ على الجدار تجمعُه وعَطِيَّات فى ملابس العرس... أشاحَ بناظرَيه عنها... رأى الجلبابَ المَشنوقَ من رقبته بالمسمار خلفَ الباب... نظرَ إليه بعداء!

Mustafa An-Nafissi **مصطفى النـَّفيسيّ**

Moroccan short-story writer, born in 1976 (Morocco). Teacher, with published works and cultural activities.

Nouvelliste marocain, né en 1976 au Maroc. Enseignant, à son actif s'inscrivent des écrits publiés et des activités culturelles.

قاصٌّ مغربيّ، من مواليد المغرب عامَ ١٩٧٦. أستاذ، في رصيده أعمالٌ مَنشورَةٌ ومَخطوطة، إلى أنشِطَةٍ ثقافيَّة.

ألتـَّجَوُّلُ في أزِقَّة الهاوِيَة

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

١- القصَّةُ في رسالةٍ قصيرة

السَّاعةُ تُشيرُ إلى الخامسة مساءً. كنتَ قد فكَّرتَ في كلِّ شيءٍ تقريبًا، بعد أن أخذتَ مقعدَك وسطَ المقطورة المكيَّفَة، وتخلَّصتَ من جحيمك الَّذي كان يحاصرُ مثانتِك في مرحاض القطار.

دارَت بخلدك إذًا أشياءُ كثيرة، كثيرةٌ بحيث لا يمكنُك الإلمامُ بها إلاَّ داخل قطارٍ ينقذفُ كسَيلٍ شتويّ، قطارٍ يحتملُ فظاعات الجميع، ويُسرع، ويُسرعُ في جنون.

كان الماضي بأكمله يقفُ أمامَك في طوابيرَ طويلةٍ من الهواجس: إطلالة البدايات، غنج الشَّفق المبثوث في مسقط الرَّأس كجواسيسَ كوزموبوليتيِّين في شوارع موسكو، شغب الأقحوان في صباحات أبريل، ألق فتاة مراهقة تشرفُ على حبٍّ مباغت، وهي تستبطِىء نموَّ صحون الشَّهوة في جسدها النَّحيل، تسريحة الشَّعر المعلَنَة أمام الملإِ عن الغواية، تشابك الأيادي تحت الموائد للتَّحايل على صرامة الكبار، الخنادق المَرصوصة بأحلام البكالوريا، الرَّصيد البنكيّ المَشفوط الشَّحم إلى حدِّ النَّحافة القاتلة، غمزات الحياة الَّتي لم تعُدْ تُثيرُ أحدًا، السَّير الحثيث إلى الهاوية الدَّانية كلَسَعات النَّحل في الرَّبيع، الارتماء في أحضان قيلولةٍ هادئةٍ كمياه الجداول في غابةٍ مَفطورَةِ القلب، بعد أن غادرَتها أشجارٌ صالحةُ الطَّويَّة، اقترفتِ الاخضرارَ في أزمنة الحروب والتَّأنُّق، صهوة الأسهم المستحيلة بدهاليز البورصة كأنَّها طلاسمُ دجَّال، الرَّسائل القصيرة في تخوم اللَّيل، التَّصابي في الحافلة المتَّجهة إلى الجنوب...

كنتَ غارقًا في استيهاماتك وخيالاتك؛ تمسحُ التِّلالَ البعيدةَ بنظراتٍ زائغة، وتعودُ لتكرعَ الماء من القنِّينة الصَّغيرة، قبل أن تهتفَ مذيعةُ القطار: محطَّة فاس... دقيقة الوقوف... فلَملَمتَ أمتعتَك ونزلتَ في تباطؤٍ مَقيت.

٢- رجلٌ بَغيضٌ وامرأةٌ سَمينة

(القصَّةُ بالتَّفصيل المُمِلّ)

في تلك المدينة المَسكوكة كقطعةٍ نقديَّة، المُنطَوِيَة على نفسها في تلك السُّفوح القَصيَّة، توقَّفَ بك المَسير. كنتَ مُتعَبًا، مُتعَبًا إلى حدِّ الإحساس بالخواء.

تململَ أكثرُ من رجلٍ وامرأةٍ في محطَّة القطار، بعضُهم تحت وطأة الصّهد، وآخرون بعد أن طالَت بهم السُّوَيعاتُ الَّتي جلسوها ههناك.

جاء الرَّجل النَّحيف، يلبسُ ملابسَ جديدة، وحذاءً بكعبٍ قاسٍ يُحدثُ طقطقةً في أثناء مَشيه. خمَّنتَ أنَّه على خلافٍ مع زوجته. هو يعملُ في محطَّة القطار، وهي ممرِّضة في مستشفى. هو شخصٌ نَهِمٌ يفضِّلُ الأطباقَ الدَّسمةَ والقشدةَ البيضاء (فكَّرتَ أنَّه يشتاقُ الآن إلى طويجنات أمِّه التي كانت تعدُّها لولدها المدلَّل الَّذي لا يتوقَّفُ عن التَّلويح باعتزال طاولة الأكل، والصَّومِ إنِ اقتضى الأمرُ ذلك. يُغدقُ في إملاء شروطه في أثناء معاهدات الصَّباح الَّتي تسبقُ مشاويرَ الطَّبخ، طبعًا حينما يسألُ عن أطباقه المفضَّلَة)، وهي تتبعُ حِميَةً صارمةً وضعَها لها رئيسُها المباشر. هو يفضِّلُ الأخبارَ السِّياسيَّةَ والرِّياضيَّة، وهي تصرُّ على متابعة قنوات المرأة، حيث يأتي ذلك الرجل العظيم رفقةَ زوجته، ويُتعبُ نفسَه في تقديم نصائحَ كثيرةٍ لا تتذكَّرُ شيئًا منها الآن؛ ولكنَّها تحتفظُ بنسخها الشَّخصيَّة من برامجه في أقراص مضغوطة، تضعُها في درجٍ صغيرٍ في خزانة ملابسها، وتُحكمُ إغلاقَه بمفتاحٍ ذهبيِّ اللَّون، ثمَّ تضعُه في جيبٍ صغيرٍ صعب المَنال داخلَ حقيبتها اليدويَّة.

كنتَ قد أرخيتَ جسدَك، وأمَلتَ رأسَك على ذلك الجدار المَرصوص بفسيفساء يتداخلُ فيها الأسودُ والأخضر، ولربَّما البُنِّيُّ والأبيض (إذ مَن يستطيعُ الجزم؟). أشبَكتَ ساقَيك كما يحلو لك أن تفعلَ دائمًا، قبل أن تتراجعَ عن وضع كعب حذائك على الجدار المغسول بعناية، فتلك حماقةٌ لا يرتكبُها عاقِل، ستجعلُ الكلَّ يرسمُ على وجهه تلك النَّظرة الشَّزراء المعروفة، وقد يحوقلُ أحدُهم، مُمَرِّرًا يدَيه الاثنتَين على وجهه، وقد تقول امرأةٌ بصوت عالٍ: لو كان زوجي معي لسلَّطتُه عليه – وهي تقصدُ أنَّها سترخِّصُ له بشَتمك، من دون أن يلحقَ بنفسه أيَّ أذًى من جانبها – وقد يأتي أحدُهم ببساطةٍ ليقولَ لك: عارٌ عليك! إذا وضعَ كلٌّ منَّا قدمَه هناك سيشحنوننا في شاحنةٍ لنَقل الأبقار بدلَ قطارٍ مكيَّف. ولكنَّك خيَّبتَ ظنَّ الجميع، واتَّكأتَ على الجدار في تأدُّبٍ يليقُ بمسافرٍ بالقطار.

تحسَّستَ تذاكرَك أكثرَ من مرَّةٍ قبلَ أن تقتنعَ بنقلها من جيب السّروال الخلفيِّ إلى جيب القميص ليسهلَ عليك إشهارُها في وجه ذلك المراقب المُبتَهِج، الدَّائمِ الاحتفال، والَّذي ينقرُ الحافَّةَ الحديديَّةَ للمقاعد نقراتٍ مُتسارعَةً كأنَّها دعواتٌ قديمةٌ للانخراط في الحروب، ثمَّ يستعرضُ ابتسامتَه الميكانيكيَّة كأنَّها خارجةٌ من آلةٍ كهربائيَّة. يقطِّبُ جبينَه وينظرُ نظرةَ مَن لا يريدُ أن يفوِّتَ ولو جزءَ دقيقٍ من تفاصيل الورقة ذات الظَّهر السَّماويِّ اللَّون، والمجعَّدَةِ في غالب الأحيان من قِبَلِ أيادٍ أربكَها البحثُ عن مقعدٍ داخلَ مَقصوراتٍ احتلَّها عُشَّاقُ القيلولة، فخلدوا للنَّوم بعد أن توسَّدوا حقائبَ

مصنوعةً من البولييستر، مليئةً بأغراضٍ لا تخرجُ عن احتمالَين: ملابس داخليَّة، وأخرى بديلة، أو سِلع مهرَّبَة قد تكون فوَط صحِّيَّة للأطفال، ثمَّ حجزوا تذاكرَ طائراتٍ تحلِّقُ في سراديب أحلامهم.
عاد الرَّجلُ الَّذي سيُصبحُ بغيضًا الآن، بعد أن صفقَ بابَ مكتبه أكثرَ من مرَّة، وأدارَ المِزلاجَ بعنفٍ وسخط، مُحدِثًا صوتًا شبيهًا بانكسار أقفالٍ حديديَّةٍ ضخمة: طراق... طراق.. نكايةً بي أنا الَّذي كنتُ قد استرسَلتُ لأحلام اليقظة قرب باب مكتبه، على الرَّغم من أنَّني كنتُ أتنحَّى كلَّما أرادَ المرور.

يتمشَّى هو وزميلُه فوق رصيف المحطَّة، واضِعًا يدَه على كتفه، في حركةٍ لا تدلُّ على التَّوادِّ والمحبَّة أبدًا، بل تتمُّ فقط عن مصالحَ كثيرةٍ مشترَكَة، وربَّما مشاريع سرِّيَّة لمُغافلة الزَّوجات في نهاية الأسبوع، ثمَّ يعودان في تَباهٍ إلى فتح باب المكتب مجدَّدًا والانسِلال إليه كاللُّصوص. يغلقان البابَ من ورائهما بسرعةٍ حتَّى لا يتسرَّبَ الى الدَّاخل لهيبُ الحرارة المُستَعِر، في كلِّ مرَّةٍ كانا يدخلان أو يخرجان، وقد تكرَّر ذلك حتَّى أصبح مزعِجًا.

كان انفتاحُ الباب يُفرجُ عن نسمات هواءٍ باردةٍ لطَّفَها مكيِّفُ هواءٍ يشتغلُ باستمرارٍ ما داما لا يدفعان فواتيرَه. يعودان إلى الانخراط في قهقهةٍ مُجلجِلَة، أحدهما يتكلَّم، والآخرُ يُنصِت، قائلاً، من حينٍ لآخر، وعلى نَحوٍ مُتقَطِّع، وبوَتيرةٍ مُتَراخية: نعم... نعم... آهٍ مزيان... مزيان... كأنَّه يريدُ أن ينهيَ الحديث. يتظاهرُ باستعمال هاتفه لإجراء مكالمةٍ افتراضيَّة، ينقرُ بسبابته البيضاء المَمشوقة على الأزرار الَّتي تُشبهُ حشراتٍ صغيرة. يُدني الآلةَ اللاَّمُتناهية الصِّغَر كقطعة شوكولاتة تمَّ قضمُها أكثرَ من مرَّة، وينظرُ بعينَيه الآثمَتَين إلى زميله الَّذي كان قد صمتَ مُكرَهًا كمذياعٍ يدويٍّ فرغت بطَّاريَّتُه ويتظاهرُ هو الآخرُ بالنَّبش في أوراقٍ موضوعةٍ فوق مكتبه.

ضربَ الأوَّلُ بيَده البُوَيبَةُ الصَّغيرةُ لهاتفه لتَعودَ إلى وضعيَّة المضاجعة في مكانها الأصليّ. فعلَ ذلك كأنَّه نجَّارٌ متمرِّن، يحرصُ على أن يدخلَ المسمارُ بضربة مطرقةٍ واحدةٍ في جسد طاولة، وقال: "هل يمكنُ أن يكونَ نائمًا في هذا الوقت؟".
ردَّ الآخر: "كيف تعنُّ لك أفكارٌ كهذه؟"
فعدلَ من جلسته وأجاب: "الرَّصاصُ القرويّ (في الحقيقة قال:البلومبي العروبي) لَم يغسلْ أرجلَه بعدُ من أوحال قريته، وها هو الآنَ يماطلُني كأنَّ أباه هو مَن بَنى فاس!".
طَبطَبَ الآخرُ على كتفَيه، وقال مؤاسيًا: "كلُّهم يأتون حفاةً عراة، ثمَّ يبدأون في التَّذاكي بعد ذلك، بعد أن تدلِّلَهم نقاوةُ الصابون".

هبَّت رياحٌ قويَّةٌ الآن، عبثت بطاقيَّة أحد الأطفال. قامَت أمُّه الممتلئةُ الجسد كشاحنةٍ صغيرةٍ للّحاق بها. تذكَّرتَ أنَّك لم تشترِ جريدتَك، وهو ما لَم تعتَدْ عليه في أثناء أسفارك. لو كنتَ قد اشتريتَها، لكنتَ الآنَ تسخرُ من تذمُّرات الجميع، بعد أن تحاصرَ الكلماتِ الشَّريدةَ بناظرَيك.

لا يستطيعُ أحدٌ أن يجازفَ، حينما يكونُ وحيدًا، بأن يُسافرَ في القطار من دون جريدة. جريدةٌ فحَسب؛ لا يهمُّ أن تكونَ قد صدرت في اليوم نفسه أو البارحة، أو حتَّى السَّنةَ الفارطَة، كما لا يهمُّ أن تحصُلَ عليها من بقَّال الحيِّ الَّذي يكدِّسُها أسفلَ الكونتوار، بعد أن يكونَ قدِ اشتراها بدرهمَين للكيلو غرام الواحد، أو من الكُشك الَّذي تخشى أن يحوِّلَه صاحبُه محلاًّ لمَبيع الآيس كريم، ما دامت تجارةُ الجرائد والكتب كاسدة. الجريدةُ ملاذُ المسافرين: بها تتَّقي شرَّ الثَّرثارين والمُتباهين بأعراسهم، والمُدَّعين خفَّةَ الرُّوح، وهم ليسوا سوى ثقلاءَ من طينة صراصير المطابخ. تدفنُ رأسَك بين صفحاتها، فتحصُل على خلوتك على الرَّغم من أنف الجميع.

تابعتِ المرأةُ ملاحقةَ الطَّاقيَّة وهي تهربُ منها. تتوقَّفُ ثمَّ تعودُ للحركة. تسقطُ الطَّاقيَّةُ على سكَّة القطار. تتَّجهُ الأنظارُ كلُّها إليها. تمسحُ هي حبَّاتِ العرق المتجمِّعةَ على جبينها. يأتي عاملُ المحطَّة بقميصه الرّمادي وقامته القصيرة، مثل رجلٍ صينيّ. يُحكمُ قبضتَه حول صفَّارته، كأنَّه يضعُ يدَه على زناد مسدَّس، مُستعِدًّا لإطلاق صفيره الإنذاريّ. يلتصقُ الصَّبيُّ بتلابيب أمِّه. يأتي أيضًا الرَّجلُ البغيض – في نظري – مُهَروِلاً. لا يتخلَّى عن توضيب ربطة عنقه. تخرجُ التَّحذيراتُ والنَّصائحُ من فمه كقطعان خيولٍ غير مدرَّبَةٍ في أفلام رعاة البقر. يُسَوِّي وضعَ نظَّاراته بإبهامه ويُخرجُ من فمه صَفيرًا هو الآخر.

يقولُ للمرأة: "أَلَّلهمَّ السَّلامة ولا النَّدامة".

تردُّ المرأة: "طاقِيَّةُ ولدي الحمراء... لن يأتيَه نومٌ بعد الآن... ماذا سأقولُ لأبيه؟ أبوه جذام دايِر كي العلقم لكحل... لن يغفرَ لي أبدًا".

يصلُ القطارُ مُسرِعًا. يزدحمُ الجميعُ أمام الأبواب الضَّيِّقة. تولولُ المرأةُ قليلاً، ثمَّ تصعدُ درجاتِ السُّلَّم المعدنيِّ تاركةً طاقيَّةَ ابنها الحمراء.

٣- أحدُهم يلبسُ طاقِيَّةً زرقاء، وتفاصيلُ أخرى

في القطار يأتي النَّاسُ من كلِّ صَوب. يتأنَّقُ البعض إلى حدِّ اعتقادك أنَّ عروسَه ستُزَفُّ إليه هناك، ويلبسُ البعضُ ملابسه التَّنكُّريَّة، هي في الغالب بِذلَةٌ سوداءُ وحذاءٌ مُلَمَّعٌ ومحفظةٌ سوداءُ مليئةٌ بأشياءَ مُبهَمَـــة، قد لا تكونُ سوى قطعِ اسفنج. يجلسُ بقربك أحدُهـــم. يستقبلُ عـــدَّةَ مكالماتٍ من

أصدقاءَ وَعَدوه وعودًا قاطعة، حينما جلسوا البارحةَ بمقهى "دريم"، بمُهاتَفَته، بعدَ أن يستقرَّ به المجلسُ في القطار، وذلك حتَّى يكتملَ المشهدُ التَّذكُّريّ. يُجيبُهم قائلاً:

– ذاك البيزنيس الكبير الَّذي لم أُنهِه...

– البرلمانيُّ فلان... الدَّايم الله.. ماتَ البارحة... قبلَ الفجر بدقيقتَين...".

– أعيينا بالطُّلوع والهبوط... هاذ الرباط قتل لي القلب، وطلَّع لي السُّكَّر...

– السَّيَّارة خلَّيتها فالدَّار... الماشينَة – يقصدُ القطار – أحسن لي.

– واش امشيتو للنّزاهة؟

ثمَّ، بعد أن يتأكَّدَ أنَّهم هاتَفوه كلُّهم، يخلدُ لنومٍ عميق، لا يقومُ منه أبدًا.

أشخاصٌ آخرون يأتون ببذَّاتٍ رياضيَّة، وبأقدامٍ يحشونها في جواربَ بيضاء، ويحرصون على وضع أنصافها داخلَ "بنطوفات" مهرَّبَة، يذهبون إلى المراحيض كأنَّهم داخلَ منازلهم أو كأنَّهم يقومون بجولاتٍ صباحيَّةٍ داخلَ حدائقَ عموميَّة.

هجسَتِ المرأةُ المَكلومة، بعد أن رمقَت أحدَ الأطفال يضعُ طاقِيَّةً زرقاءَ فوق رأسه، طاقِيَّةً هي نسخةٌ طبقُ الأصل لطاقِيَّة ابنها مع اختلافٍ في اللَّون فقط. دارَت ببالها عدَّةُ تخمينات: لو كانت طاقِيَّةُ الطِّفل حمراء، أو طاقِيَّةُ ابنها زرقاء، لاستعطَفَت أمَّه أن تبيعَها إيَّاها، وإذا رفضت تَستولي عليها غيرَ مُباليةٍ بصراخها أو بتجمهُر الفضوليِّين الَّذين سيَغرسون شوكاتِ نظراتِهم في جسمها من دون رحمة. لكن، لِتَخْسَأْ هذه الـــ "لو"، فطاقِيَّةُ ابنها حمراء، وطاقِيَّةُ الطِّفل الَّذي تحضنُه أمُّه بيدها اليسرى زرقاء، وزوجُها لا يُمكنُ أن ينخدعَ أبدًا. تذكَّرَت ذلك المساءَ الجميلَ المناسبَ جدًّا لخُروج الأزواج للتَّسوُّق. تذكَّرَت أيضًا التَّاجرَ الرَّقيق، وهو يضعُ أمامَها ألوانًا اختياريَّةً كثيرةً للطَّاقِيذَة الَّتي استقرَّ رأيُها عليها أخيرًا، بعدَ أن لَفَّا، هي وزوجُها، كلَّ المتاجر.

"شوفي آللاّ، خُذي اللَّون اللي بغيتي"، قالَ التَّاجر.

ولكنَّها اختارَتِ الأحمر، ولم تختَرِ الأزرق، وهي لا يُمكنُ أن تغفرَ هذا لنفسها. ما دامتِ الطَّاقِيَّةُ الَّتي يعتمرُها الولدُ الَّذي استيقظَ الآن زرقاء.

بقربك جلسَ شخصان متقابلان. يبدو أنَّهما لم ينبسا بأيَّة كلمةٍ قبلَ جلوسك.

قال الشَّخصُ المُحاذي لك، والَّذي يبدو أنَّه جنديٌّ متقاعد، بنبرةٍ متسائلة:

– "غادي للدَّار البيضاء إن شاء الله؟"

ردَّ الآخَرُ الجالِسُ في المقعد المقابل، والواضحُ أنَّه يعيشُ حياةً هَنيئة:

– "غير لمِكناس". ولم يُضِفْ أيَّة كلمةٍ تدلُّ على أنَّه يُجامِلُ السَّائِل، أو أنَّه يريدُ إتمامَ الحديث.

جازفَ الجنديُّ المُتقاعدُ مرَّةً أخرى:
– "مِكناس زوين هاد ليام!".
أجابَ الآخرُ في حيادٍ تامّ:
–"زوين" (جميل) كان باديًا جدًّا أنَّ الحديثَ سيتوقَّفُ هنا.
تأكَّدَ لكَ الآنَ أنَّ الجريدةَ ضروريَّةٌ في أسفارٍ كهذه.
فكَّرتَ بتجريب النَّوم؛ لكنَّ المذيعةَ هتفَت بصوتها المهذَّب جدًّا: "محطَّة فاس... دقيقة الوقوف".
حملتُ أمتعتي، ونزلتُ في تلكُّؤٍ قطَطِيّ.

Muhannad At-Takriti **مُهنـّد التـّكريتيّ**

Iraqi poet, born in 1978 (Baghdad – Iraq). B.S. in chemistry, teacher, with several writings, jourlalistic and cultural activities.
Poète irakien, né en 1978 à Bagdad (Irak). Licencié en chimie, enseignant avec, à son actif, plusieurs écrits et des activités journalistiques et culturelles.
شاعرٌ عراقيّ، من مواليد بغداد (العراق) عامَ ١٩٧٨. مُجازٌ في الكيمياء، مُدَرِّس، في رصيده كتاباتٌ وأنشِطة صِحافيَّة وثقافيَّة.

أنتِ...!

(النَّصُّ الكامل - *texte intégral* - texto completo - full text)

المَساءاتُ النَّديَّة... في ليلة عشق... خريفيَّة
تعاويذُ مُخمليَّة
ثقوبٌ ترتقُ نافذةَ الرَّبّ... وتسمحُ لشُعاع الحبِّ بالتَّماثُل
فتخفقُ عند مساطبها لحاءاتُ الجسد
تُغلِّفُني تفاصيلُ قديمة...
تُلغي من مَسامات وجودي... تقاليدَ وثنٍ أميبيٍّ مُتَسَلِّط
أسمَيتُه... أنتِ!

ناجي يونس **Naji Younis**

Lebanese poet, born in 1947 (Darbichmizzine – Al-Koura – Lebanon). With a master in Arabic and a higher diploma in education, he teaches since 1973, and has several writings and cultural activities.

Poète libanais, né en 1947 à Darbichmizzine (Al-Koura – Liban). Avec des hautes études en langue arabe comme en éducation, il enseigne depuis 1973 et à son actif s'inscrivent plusieurs écrits ainsi que des activités culturelles.

شاعرٌ لبنانيّ، من مواليد دارِبِشمزِّين (الكورَة – لبنان) عامَ ١٩٤٧. حائزٌ الماجيستر في علوم اللُّغة العربيَّة وآدابها، ودبلوم الدِّراسات العليا في التَّربية، أستاذٌ في المرحلة الثَّانويَّة منذ ١٩٧٣، في رصيده كتاباتٌ وأنشِطَةٌ ثقافيَّة.

رائحةُ التُّفَّاح

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

رائحةُ التُّفَّاح

أقومُ بكِ هذا الصَّباح
وأمضي في حقول الهواء إليكِ
صباحُك أخضر
تلالٌ من الشّربين، نبعٌ
ضمَّةُ صَعتَر
أنشرُ بَوحي وأمضي
وحيدًا ولا أتذكَّر
وحيدًا في سكون فضائِكِ أمضي
أروحُ إليكِ ولا أمرُّ ببابكِ
رائحةُ التُّفَّاحُ في فمي
وأمضي في فضاء ثيابِك
إلهًا نبيًّا أسوقُ إليكِ
قطيعَ نيزَك.

في الصَّيف والشِّتاء

في الصَّيف أجمعُكِ... حبَّةً حبَّة
أقرأُ أنفاسَك نسمةً نسمة
أعصرُك قطرةً قطرة
في الصَّيف أفرغُ منك
وفي الشِّتاء أنتِ لي
أحتفظُ بك
أُشعلُ نارك حطبةً حطبة

صوتُـك

....
يرقِّعُ الأفراحَ في قلبي
بخيطٍ من حنان
صوتُك برِّيَّةُ الزُّوفى
وزهرُ البَيلَسان
في الحُلم كان
يقولُ لي ما قالتِ الأنسامُ للظِّلال
صوتُك المعتَّقُ بالقُبَل الطِّوال
كتابُ قلبي صوتُك
خابيةُ الزَّمان
أربعةُ فصول
أقرأُ فيه الحبَّ والألحان
وأشربُ الحقول

إنكِسار

جبلُ الشّربين يرشقُني
تتكسرُ أغصاني

ألزمُ مسافتي
وَهيَ تسرِّحُ شعرَها

صنـِّين

بِاسمِ الحبِّ يا حلوَة
أَعينيني على الوقت
الَّذي مضى بلا جدوى
وصنِّينُ الَّذي في الأمس حاصرَنا
ولم يتركْ لنا خلوَة
أيا صنِّينُ نسألُك
بمَن تهوى
أنِ اتركْنا بلا خَفَر
نضيعُ بخاطر النَّجوى
ويا صنِّينُ سوِّر كرمَك المَسحور
بالأشواق
واجعَلْه لنا مأوى

بيروتُ تعرف

بيروتُ تعرفُ أنَّ لي قلبَ هباء
ذهبَ الصَّيفُ وأمسى
كفنًا للعنكبوت
بيروتُ تعرفُ أنَّني
من غير ماء
غلَّتي ضاعَت
وقلبي في خفوت
غدَرَ الصَّيف

وغضَّت طرفَها
عنِّي السَّماء

إمرأةٌ تلبسُها الأزهار
الوقتُ من عسل
فراشةٌ على الزُّجاج
رجلٌ يطاردُ سحابة
شاعرٌ وامرأةٌ تلبسُها الأزهارُ
خطفَهما الحبُّ
ولم يلتَقِيا

هايل المذابي **Hayil Al-Muzabi**

Yemeni short-story writer, born in 1983 (Sanaa – Yemen). With literary writings and cultural activities.

Nouvelliste yémenite, né en 1983 à Sanaa (Yémen). À son actif s'inscrivent des écrits littéraires et des activités culturelles.

قاصٌّ يمنيّ، من مواليد صنعاء (اليمن) عامَ ١٩٨٣. في رصيده كتاباتٌ مَنشورَة، إلى أنشِطَة ثقافيَّة.

قريةُ الأمَل

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

لَئِنْ لَمْ تَكُنْ أَهلاً لِتَبْعَثَ الأمَلَ فِي نُفُوْسِ الآخَرِينَ فَحسبُكَ ألاَّ تقطعَ بِهم الأَسبَاب!!...
فِي العَادَةِ يُقِيمُ العَالَمُ حَضَارتَهُ حَيثُ النَّبعُ، وعِندَمَا يَشِحُّ هَذَا الأخِيرُ يَرحَلُ العَالَمُ!!...
بَعدَ أنْ تَعَذَّرَ قَطْرُهَا، وغارَ مَاؤها، ونَضَبَ مَعِينُها، كَانَ عَلَيهَا أنْ تَرحَلَ، بَيدَ أنَّها أبَتِ الرَّحيلَ، على الرَّغم من أنَّهُ الخَيارُ الوَحِيدُ المُتاحُ أمَامَها، فَالاِحتِرابُ معَ أيِّ قَريَةٍ أُخْرَى سَيكُونُ نُكُوْثًا لِعَهْدٍ

دَخَلَتْ فِيْهِ معَ القُرَى المُجَاورَة، والجميعُ سَيكُونُ ضِدَّها، كَانَ عَلَيْهَا أنْ تَتَقبَّلَ الوَاقِعَ، لَكِنَّها فَضَّلتِ اللُّجُوءَ إلى الحيلَةِ وتَدبيرِ المَكِيدَةِ لأقربَ قَريَةٍ مُجَاورَةٍ، قَرْيَةِ "الأمَلْ"!...

قَرْيَةُ "الأمَلْ" تَمْتَازُ بِكَثرَةِ مَائِهَا، وَطِيْبَةِ أهْلِهَا الَّذين همُ أقْرَبُ إلى السَّذَاجَةِ في نَظَرِ مَنْ حَوْلِهم وَمُقَارنَةً بِأقرَانِهِم... مُسَالِمين جِدًّا... بُسَطَاءَ لا يَبْرَحُونَ الأرضَ لئلاَّ يَسقُطُوا، ذَلِكَ دَيدَنُهُم، وَالأحقَادُ والتَّحَاسُدُ لَيسَ مِنْ شِيَمِهُم، كَلاَّ، وَلاَ مِمَّا تَضْمُرُهُ نُفُوسُهُمُ البتَّة...، كُرَمَاءَ لا يُمْسِكُونَ أيدِيهِم عَن فِعلِ الخَير، والأمْطَارُ في سَاحَاتِهِم لا تَتَوَقَّفُ عَلَى مَدَارِ العَام، ولَعَلَّ هذا هوَ السَّبَبُ الَّذي جَعَلَ القَرَيَةَ المُجَاورَةَ تَرَى أنَّ أهلَ قَرْيَةِ "الأمَلْ" لا يَستَحقُّونَ النِّعَمَ الَّتي خَصَّهُمُ اللهُ بِهَا!!...

كَانَ على القَريَةِ الَّتي شَحَّ ينْبُوعُها أنْ تَكشِفَ عَنْ نَوايَاهَا السَّيِّئَة...، وَقَدْ تَكَفَّلَ سَاحِرُها بِعَمَلِ تَعْوِيْذَةٍ شِرِّيرَةٍ تُنَاسِبُ مَا يَخَافُهُ أهلُ قَرْيَةِ "الأمَلْ"، لا بَل أهلُ جَمِيعِ القُرَى بِلا اِسْتِثناء: "الظَّلاَمُ". فمَتَى أرْخَى اللَّيلُ سُدُولَهُ اِستَحَالَ خُروجُ أَحَدٍ مِنْ أَهلِ القَرْيَةِ، ومُسَوِّغُ ذَلِكَ اِفْتِقَارُهمُ لِمَظَاهِرِ التَّحَضُّرِ والمَدَنِيَّةِ الحَدِيثَة: "الكَهْرَباءُ وأعْمِدَةُ الإنَارَةُ"، فَالحَيَاةُ أشْبَهُ ما تَكُونُ بِدَائِيَّةً، خَلا ذَلِكَ كَثْرَةُ السِّبَاع، وَكَثْرَةُ الأسَاطِير الَّتِي تَطُوفُ حَولَهَا، وحَولَ الجِنِّ، والَّتِي صَارَتْ تُرَاثًا قَصَصِيًّا خَاصًّا يُحْكى وتَسْتَمْتِعُ بِهِ مَسَاءَاتُهُم!!...

كَانَ عَمَلُ السَّاحِرِ الشِّرِّير عِبَارَةً عَنْ تَعْوِيذَةٍ مِنْ ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ كُتِبَتْ على وَرَقَةٍ وُضِعَتْ في كَأسٍ لِلسَّاحِرِ يُطْلِقُ عليهِ "كَأسَ الألَمِ"، بِهِ مَحْلُولٌ مَخْلُوطٌ بِتَعَاوِيذَ شِرِّيرةٍ تَرَكَها فِيْهِ حَتَّى تَفَسَّخَ حِبْرُها، وَدَوَاليكَ، حَتَّى جُنَّ المَسَاءُ ودَنَفَتِ الشَّمْسُ لِيَذهَبَ بها أَحَدُ مُعَاوِني السَّاحِرِ إلى حَيثُ النَّبْعُ الَّذي تَشرَبُ مِنه قَرْيَةُ "الأمَلْ"، ولَمْ تَكُنْ تِلكَ الحُرُوفُ الَّتي تَفَسَّخَ حِبْرُها في كَأسِ السَّاحِرِ سِوَى: ألِفٌ، ولامٌ، وميمٌ (أي: أَلَمْ)!!...

في اليَومِ التَّالي شَرِبَتْ قَرْيَةُ "الأمَلْ"، وتَزَوَّدَتْ بُيوتُها بِالمَاءِ من مَشْرَبِها الدَّائِم، وما هِي سِوَى لَحَظَاتٍ حَتَّى تَحَوَّلَتْ حَيَاةُ أهلِها لَوحَةً سَوداءَ سَائِلَةً تَشُقُّها قَنَاةٌ من الألَم!!...

وكَانَ ثَمَّةَ رَجُلٌ حَكِيمٌ في قَرْيَةِ "الأمَلْ" يُسَمُّونَهُ "الحَكِيمُ الطِّيِّبُ"، لَهُ في العِلمِ صَاعٌ وبَاعٌ، صَاحِبُ تَجْرُبَةٍ طَوِيلةٍ وحِنْكَة، ذُو بَصِيرةٍ نَافِذَة؛ وَكَانَ تَارِيخُ الصِّرَاعِ بَينَهُ وَبَيْنَ السَّاحِرِ يَحكِي الكَثِيرَ، وَيُثْرِي تَجَارُبَهُ وَخِبرَاتِه!!...

عِندَمَا عَلِمَ الحَكِيمُ الطِّيِّبُ بِالأمْرِ مِمَّنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْ أهلِ القَرِيَةِ، أَدْرَكَ أَنَّها مَكِيدَةٌ دَبَّرَتْها القَرْيَةُ المُجَاورَةُ، كيما يرحلَ أهلُ قَرْيَةِ الأمَلِ عن قريتهم، أَوْ يُلازِمَوا مَسَاكِنَهُم حَتَّى يَفْنَوْا أَلَمًا وَظَلامًا!!...

قَالَ الحَكِيمُ: "هِيَ تَعْوِيذَةُ سَاحِرٍ ولا سَبِيْلَ لإبْطَالِها سِوَى بِصُنْعِ تَعْوِيذَةٍ مِنْ جِنْسِها...، وتَحَرَّى جَيِّدًا في مَا تَحَرَّى فَوَجَدَ "الألَمَ" يَسْكُنُ رُؤُوسَ الشَّارِبِيْنَ من النَّبْعِ يُصَاحِبُهُ الظَّلام!!...
وَقَضَى الحَكِيمُ الطِّيِّبُ اللَّيلَ بِطُولِهِ يُنَقِّبُ وَيُفَتِّشُ بَينَ ثَنَايا الكُتُبِ، وَيُقَلِّبُ بَنَاتَ أَفْكَارِهِ، فَالمَعْرَكَةُ كَانَتْ بَينَهُ وبَيْنَ السَّاحِرِ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ، وَما المَاءُ سِوَى عَارِضٍ طَارِئٍ في صِرَاعٍ ثابتٍ بينهما، فيما السَّبَبُ، هذه المَرَّة، من شأنه تحديدُ مَصِيرِ قَرْيَتِهِ، وإبْطَالُ مَفْعُولِ تَعْوِيذَةِ السَّاحِرِ مِنْ عَدَمِ إبطالِها يُحَدِّدُ مَنِ الأجْدَرُ منهما بِالبَقَاء.

ما إنْ حَلَّ الهَزِيعُ الأخيرُ من اللَّيلِ حَتَّى كَانَتِ الفِكرَةُ قَدِ اِنْبَثَقَتْ في رَأسِ الحَكِيمِ الطِّيِّبِ كَما يَنْبَثِقُ الأمَلُ من بَينِ الظَّلامِ الكَثِيف!!...
أخذَ يُقَلِّبُ الأحرُف الثَّلاثة: "الألف واللاَّم والميم"، فَظَفَرَ بِالأولَى فَصَارَتْ "أمَلْ"، ثُمَّ قَلَبَها فَصَارَتْ "لأم"، وقَلَبَها من جديد فَصَارَتْ "مَلأ"، وفي لَمْحَةٍ خَاطِفَةٍ وبِثاقِبِ بَصِيرَةٍ نَفَخَ فيها مِنْ لَهَبِ رُوحِهِ فَصَارَتْ: "الأمَلُ يُلئِمُ أَلَمَ المَلإِ"!!...
ولَمْ يَدُمِ الأمْرُ طُوِيلاً حَتَّى كَتَبَها عَلَى قُصَاصَةٍ وَرَقِيَّةٍ بِحِبْرٍ مَقْرُوءٍ، ثُمَّ وَضَعَها في كَأسٍ يُطْلَقُ عَلِيهِ "كَأسُ الأمَلِ"، وَتَرَكَها تَتَنَفَّسُ فيه حَتَّى الصَّبَاح!!...

ومَعَ الفَجْرِ وانْسِيَابِ خُيُوطِ الشَّمْسِ، ذَهَبَ بها إلى حيثُ النَّبْعُ وَصَبَّ الكَأسَ فيه، ثُمَّ جَمَعَ أهلَ قَرْيَةِ "الأمَلِ"، وَأَمَرَ الجَمِيعَ أَنْ يَنهَلُوا من النَّبْعِ، وَعِندَمَا حَلَّ المَغِيْبُ كَانَ عليه أَنْ يَجْمَعَهُم مَرَّةً أُخْرَى لِيُؤَدِّيَ المَصْلُ مَفْعُولَهُ، وَقَالَ: "حَتَّى الأمَلُ لَهُ عَينَانِ، بَيْدَ أَنَّهُ لا يَرَى في الظَّلامِ مِثْلَكُم، وكيما يَرَاكُم، يَلزَمُكُم أَنْ تَقْدَحُوا النِّيرَانَ!!...

Yussuf Al-Azraq **يوسف الأزرق**
Moroccan poet and painter, born in 1976 (As-Saouira – Morocco). Teacher, with published works, cultural and artistic activities.
Poète et artiste peintre marocain, né en 1976 à As-Saouira (Maroc). Enseignant, à son actif s'inscrivent des écrits publiés et des activités culturelles et artistiques.
شاعِرٌ وفنَّانٌ تشكِيليٌّ مغربيّ، من مواليد الصّويرة (المغرب) عامَ ١٩٧٦. أستاذ، في رصيده أعمالٌ مَنشـــورَة، إلـــى أنشِطَةٍ ثقافيَّةٍ وفنيَّة.

رقصاتٌ بأحذيةٍ ضيِّقة

(النَّصُّ الكامل - texto completo - *texte intégral* - full text)

لنرقصْ قليلاً ونمطرْ عرقًا كثيرًا
حتَّى يتوحَّدَ الجسدُ في الرُّوح
ونرسمَ بظلال خطواتنا جسرًا يحملُ الألَق
إلى غيماتٍ تنتظرُنا
أيَّتها المُختبِئَة في غرفِ الخجل
وتوابيتِ الغروب
حَرِّري خصلات شعرك الحارقة
وامنَحي النَّيازك كواكبَ جديدة
ليشتعل الكون
ارقصي واتركي
دماءَنا المُلتهِبَة تلتحمُ كما نهر جارف
يخترقُ أسوارَ الخوف والنّسيان
ارقصي... ارقصي
ودَعيني أزعزعُ قناعاتِك
وأزرعُ شكوكًا هائلة في خصرك
فأنا لا أؤمن سوى بالحبِّ
والقصيدةِ وجنونِ اللَّيل... وأنتِ...
بأحذيتنا الضَّيِّقة سنرسمُ فراشاتٍ ملوَّنة
تعبرُ الشَّواطئَ العذراء
وترسو على شبابيك مُترعة على الوجود
فالعالمُ كلُّه ينظرُ إلينا وينتظرُ أن نسابقَ الغمام
ونفتحَ الأبواب لأصدافٍ معتَقَلَة...

للشَّجرة الوحيدة بين أحشاء الهَمس
نُهدي عقاربَ تلاحمنا لتبتسمَ الجذور...

لِمَوج الزّرقة نُطعمُ الغروبَ والهيجان
لِتَنعكسَ المحارات في ملامح البحر...

لِحقائب المغتربين نحشو الذَّاكرة
بهذيان المُشتَهى...

لِلقوارب الزَّرقاء الرَّاعشة نضخُّ الطِّينَ والسَّراب
بعطورٍ متورِّمَة...

لِضَجر الشَّمس ننقلُ فراغاتِ الصَّحارى
من الطَّريق إلى كهوف الجبال...

ارقصي... ارقصي
حتَّى تنكسرَ أصواتُ الممَرَّات
وننقشَ بأصابعنا قناديلَ الرَّغبات
وتتحوَّلَ أنفاسُ الوطن
نشيدًا يتموَّجُ بين خيوط البهاء

Younes Lechehab **يونس لَشهَب**
Moroccan poet and researcher, born in 1980 (Tetouan – Morocco). With published writings and various prizes.
Poète et chercheur marocain, né en 1980 à Tétouan (Maroc). À son actif s'inscrivent des écrits publiés et des prix variés.
شاعرٌ وباحثٌ مغربيّ، من مواليد تطوان (المغرب) عامَ ١٩٨٠. له كتاباتٌ مَنشورة، حائزٌ جوائزَ مختلِفة.

مُستَوَياتُ القراءة والتَّأويل

في رواية "اللِّصّ والكلاب" لِنَجيب مَحفوظ

(introduction - *introduction* - introducción - مُقدِّمَة)

"إنَّ ثمَّة وَحدةً عميقةً بين الأخلاق والمجتمع والفنِّ والدِّين والحياة، والفنُّ العظيمُ هو الَّذي تتجلَّى فيه هذه الوَحدة".

جويو

مثَّلَ الأدبُ بأجناسه ظاهرةً فريدةً انبرَت لمقاربتها مناهجُ مختلِفة، تستمدُّ مشروعيَّتها من طبيعة الظَّاهرة الأدبيَّة الثُّلاثيَّة الأبعاد: فهي تنتمي إلى الأذهان الفرديَّة (البُعد النفسيّ)، والأشكال المجرَّدة (البُعد النَّصِّيّ)، والبُنيات الاجتماعيَّة (البُعد الاجتماعيّ). وقد تراوحَت تِلكَمُ المقارباتُ بالنَّظر إلى مرجعيَّات كلِّ منهجٍ وخلفيَّاته، بين قسمٍ يدرسُ الأدبَ من الخارج، مثلَ المنهج النَّفسيِّ والتَّاريخيِّ والاجتماعيّ، وقسمٍ ثانٍ يدرسُه من الدَّاخل؛ من حيث عرضُ البُنيات الأدبيَّة والصُّور والأسلوب... أي المقوِّمات والعناصر الَّتي تُضفي على الأدب أدبيَّتَه. وهذا القسمُ البُنيَويّ، غيَّرَ اتِّجاهَ الدِّراسات الأدبيَّة، وحدَّد موضوعَها، وعزلَها عن كلِّ دَخيلٍ عليها، فدرسَ الخطابَ الأدبيَّ تحت ما يُسمَّى بالنَّصّ، وبعبارة أخرى، أرجعَه إلى نظامه وقاربَه من خلال هذا النِّظام، فحرَّره من أحكام القيمة ومن الصِّراعات الإيديولوجيَّة...

وموازاةً مع هذه المحايدة النَّصِّيَّة الَّتي حملَت البُنيَويَّةُ لواءَها، جاءت نظريَّاتُ التَّلَقِّي والقراءة والتَّأويل، مُستكمِلَةً ما أهملَته البُنيَويَّة، ولتضعَ العمليَّةَ الأدبيَّةَ في دائرة التَّواصل الإنسانيّ، بالنَّظر إلى طبيعتها، وبنقل مركز الثِّقَل من استراتيجيَّة التَّحليل من جانب المؤلِّف/النَّصّ، إلى جانب النَّصّ/القارئ.

إنطلاقًا من الوعي بهذا الواقع، الَّذي يجعلُ من النَّاقد الأدبيِّ مُطالَبًا بالانفتاح على مختلِف المناهج والتَّخصُّصات من أجل أن تكونَ قراءتُه قراءةً رحبَة، ويكونَ تواصلُه مع العمل الأدبيِّ تواصلاً إنسانيًّا جماليًّا، سيكونُ دأبي في هذه الورقات المعدودة أن أرصدَ سِمات العالَم الرِّوائيِّ عند نجيب محفوظ، مُتَنَقِّلاً فيها بين ضفاف القراءة والتَّأويل، علَّ النَّصَّ يشي بشيءٍ من أسراره، ويشفُّ عن رؤى بَوحه وقراره.

وقد كانتِ البدايةُ بمَدار العتبات النَّصِّيَّة، وتشكل من مقدِّمة موجزَة في نشأة الرِّواية، وفي أطوار الرِّواية العربيَّة، تلاها تعريفٌ بالأديب وبروايته موضوع الدِّراسة، ثمَّ اتَّجهَ العملُ إلى استِنطاق الخطاب المُوازي. وبعد ذلك، وفي المستوى الثَّاني من القراءة: مدار التَّحليل، كانت محاولةُ استِكناه البُنى الدَّالَّة في الرِّواية من خلال تتبُّع الحدث، ودراسة القوى الفاعِلَة، والبُعد النَّفسيّ، والبُعد الاجتماعيّ، واستِخلاص البنيَة، ودراسة الأسلوب. وختامًا، عرضتُ، في المستوى الثَّالث: مدار التَّركيب، خلاصة بمثابة المناقشة وتحديد القيمة.

الثقافة بالمَجَّان

سلسلة كتب أدبيَّة مجَّانيَّة أسَّسَها *ناجي نعمان* عامَ ١٩٩١ وما زالَ يُشرفُ عليها

Ath-Thaqafa bil Majjan

Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par
Free of charge literary series established and directed since 1991 by
Serie literaria gratuita establecida y dirigida desde 1991 por
Naji Naaman

جوائز ناجي نعمان الأدبيَّة

prix littéraires
premios literarios
naji naaman *'s*
literary prizes
2011

Août 2011

ألحقوقُ مَحفوظة © *Tous droits réservés* – All rights reserved – *Todos los derechos reservados*

Maison Naaman pour la Culture & Naji Naaman's Foundation for Gratis Culture *FGC*